عفواً يافضيلة الإمام الأكبر

والخلاف فى الرأى لايفسد للود قضية

محمد عبد الله السمان

دار الاعتصام

إهـــــــــداء٢٠٠٦

المرحوم الدكتور/ علي حسين كرار

القاهرة



دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع
٨ شارع حسين حجازى ـ القاهرة
هاتف : ٣٥٥١٧٤٨ ـ ٣٥٤٤٧٤٨ ـ فاكس : ٣٥٤٦٠٣١
ص.ب : ٤٧٠ القاهرة ـ الرمز البريدى ١١٥١١

محمد عبد الله السمان

عفواً

يا فضيلة الإمام الأكبر

والخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية

دار الاعتصام



رسالة من قارئ

الكاتب الإسلامى الأستاذ / محمد عبد الله السمان

السلام عليكم ورحمة الله .. وبعد :

فنرجو أن تكونوا قد قرأتم الحوار الصحفى مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر والمنشور بمجلة الأزهر عدد شوال ، ومرفق صورة منه .

لقد كانت إجابات الإمام الأكبر دون المستوى اللائق بمقامه كشيخ للأزهر يحتل فى نفوس الشعوب المسلمة أسمى مكانة .

نأمل أن تتكرموا بمناقشة الحوار فى كتاباتكم القادمة فقد تعودنا منكم شجاعة الرأى وعدم المجاملة وبارك الله فيكم .

مصطفى أبو أحمد

خبير مثمن – الأوبرا

القاهرة { تليفون : ٥٩٣٣٨٤٥
١٥ / ٣ / ١٩٩٧ م

مصطفى أبو أحمد
خبير مثمن
بجداول العدل والمالية والتموين
(رقم ١١٦)

المكتب الدولي للمزادات
المبنى الثاني بجوار الأوبرا
الدور الخامس - جناح ٦ ...
ت/فاكس: [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الكاتب الإسلامي الأستاذ محمد عبد الله السمان

السلام عليكم ورحمة الله .. وبعد

نرجو أن تكونوا قد قرأتم الحوار الصحفي مع
الإمام الأكبر شيخ الأزهر والمنشور بمجلة
الأزهر عدد شوال ، ومرفق صورة منه ،
لقد كانت إجابات الإمام الأكبر دون المستوى
اللائق بمقامه كشيخ للأزهر يحتل في نفوس
الشعوب المسلمة أسمى مكانة .
نأمل أن تتكرموا بمناقشة الحوار في كتاباتكم القادمة
فقد تعودنا منكم شجاعة الرأي وعدم المجاملة
وبارك الله فيكم

مصطفى أبو أحمد
خبير مثمن - الأوبرا
ت: ٥٩٢٢٨٤٠
١٥ / ٢ / ١٩٩٧

صورة خطية لرسالة الأخ مصطفى أبو أحمد الخبير المثمن بالقاهرة والتي بعث بها إلى المؤلف بعد اطلاعه على الحوار : وهي مؤرخة في ١٥ / ٣ / ١٩٩٧م .

ادعونى أستجب لكم

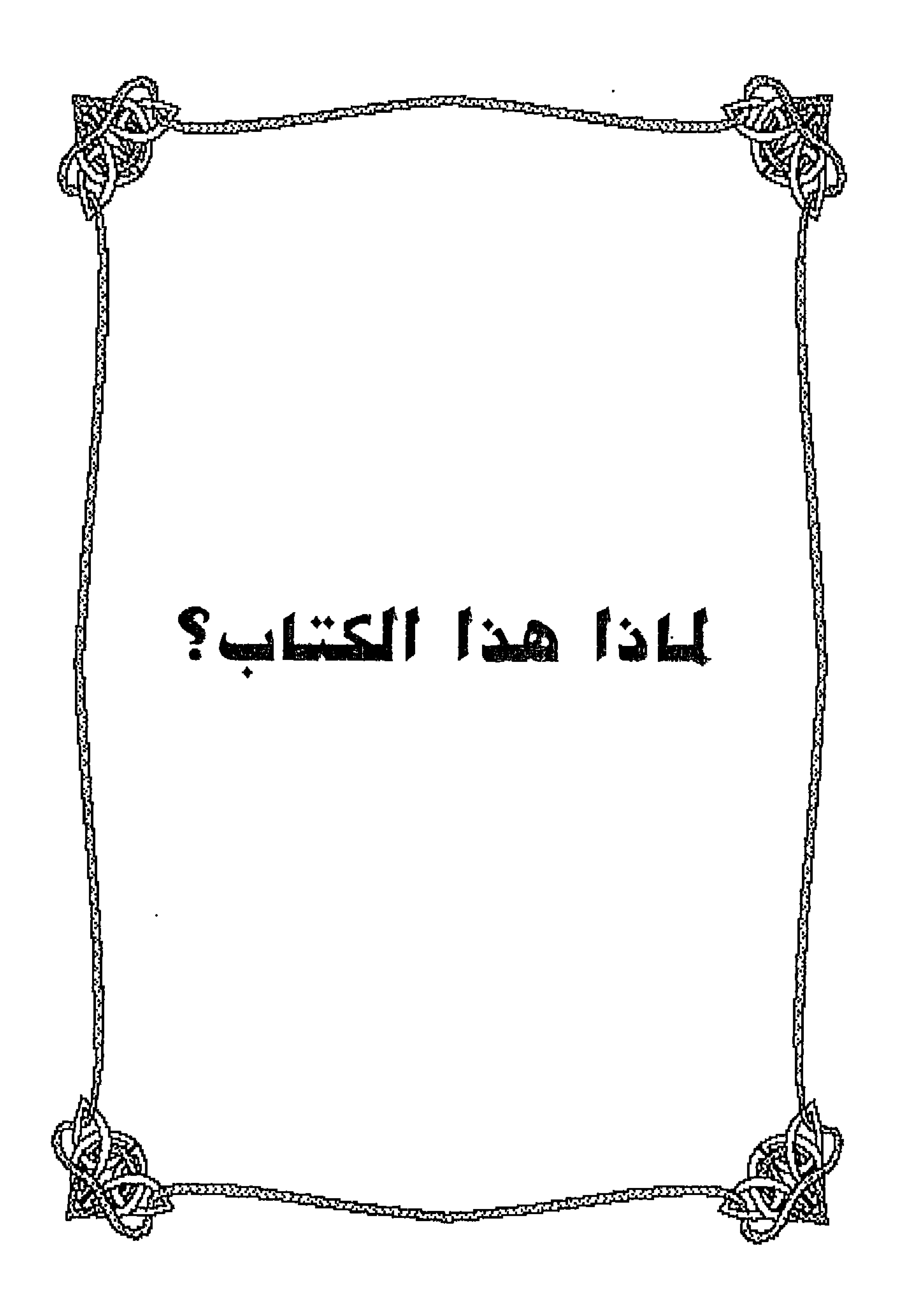
« اللهم آتِ نفسى تقواها ..
وزكّها أنت خيرُ مَنْ زكاها ..
أنت وليُّها ومولاها » .

* * *

« اللهم إنى أعوذ بك من عِلم
لا ينفع .. ومن قلب لا يخشع ..
ومن نفس لا تشبع .. ومن
دعوة لا يُستَجابُ لها » .

« محمد رسول الله »

[رواه مسلم]



لماذا هذا الكتاب؟

لماذا هذا الكتاب ؟

كان فضيلة الإمام الأكبر الدكتور « محمد سيد طنطاوى » شيخ الأزهر قد أدلى بحديث فى شكل حوار صحفى إلى الأستاذة « سناء السعيد » نشر فى جريدة « الوفد » وفى عدد شوال الماضى (١٤١٧هـ) من مجلة الأزهر .

وما إن جاءتنى رسالة منشورة فى الصفحة التالية من الخبير المثمن الأستاذ « مصطفى أبو أحمد » تلفت نظرى إلى حديث الإمام الأكبر حتى بادرت بكتابة تعليق هادئ، أرسلت صورة منه إلى جريدة الوفد فلم تنشره ، ونشرت جريدة الأخبار القاهرية فى ٢٨ / ٣ / ١٩٩٧م زهاء نصف التعليق ولم تنشر الباقى .

وفى ٤ / ٤ / ١٩٩١م نشرت الأخبار رداً على مقالى للدكتور رشدى البدراوى الأستاذ بجامعة القاهرة .. وننشره هنا فى الصفحات التالية .

وإزاء هذا وذاك كان لابد من هذا الكتاب .. مجرد مناقشة لا تمس مكانة الإمام الأكبر فى قلوبنا .. والخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية .

واللهُ تعالى الهادى إلى سواء السبيل .

« المؤلف »



مقدمة

حوار على الحوار

مقـدمة

حـوار على الحـوار

●● بادئ ذى بدء أؤكد :

أولاً :

أن الأزهر – كان ولا يزال – يعيش فى وجدان كل مسلم أيّـاً كان موطنه وجنسيته ، ويمتزج بأحاسيسه ومشاعره ، وبكل نبضة من نبضات قلبه .. ذلك لأن الأزهر اليوم هو المؤسسة الإسلامية الوحيدة الباقية الذى تجتمع عليه قلوب المسلمين جميعاً بلا استثناء .. حتى بعد أن تقلص ظله ، وأصبح أقرب ما يكون إلى المبنى لا المعنى .. وإلى اللفظ لا المضمون .. وهذا لا ينسينا أن للأزهر تاريخاً مشرقاً ومشرفاً معاً .. ولكن لا جدوى من التغنى – مجرد التغنى – بالمـاضى المشرق والمشرف ما لم يكن له انعكاسه على الحاضر والمستقبل .. هذا الانعكاس الذى يؤكد قدرته على العطاء !!

ثانيـاً :

أن الأزهر – كما يود كل مسلم أن يكون – ليس شعاراً ولافتة .. بل رسالة هى امتداد لرسالة الإسلام .. وعلماؤه جديرون بوراثة الأنبياء ، يخلصون لرسالته لا بمؤهلاتهم ..

بل بمواقفهم .. وأن شيخ الأزهر فى غِنًى عن الألقاب .. لأنه رمز فكرى وروحي ومعنوى للأزهر ، وهو الذى يصنع مكانته وليست الألقاب والأوسمة .. أجل هو الذى يصنع مكانته .. بعلمهِ ومواقفه فى الأزمات التى تعانى منها الأمة المسلمة ..

ثالثاً :

أن شيخ الأزهر وقد اختير له لقب « الإمام الأكبر » يدرك - تمام الإدراك - مدى مسئوليته أمام هذا اللقب .. وهذه المسئولية تفرض عليه أن يكون على مستوى الكفاءة لها ، وأن تسليط الأضواء الكثيرة عليه لا صلة له بالكفاءة .. لأن مقومات الكفاءة إزاء هذه المسئولية : الإيمان .. والإخلاص .. والشجاعة .. والاعتزاز بالنفس !!

* * *

● ● إن الحوار الذى نشرته مجلة الأزهر كان مثيراً لدى كل من قرأه واستوعب ما جاء على لسان الإمام الأكبر .. وقد اتصل بى بعض القراء الغيورين يسألوننى رأيى فى الحوار ، وقد رأيت أن محاضرة تلقى فى قاعة .. أو مقالاً ينشر فى صحيفة لا يكفيان .. ولذا كان هذا الكتاب !!

وأنا لا أقصد - بالطبع - الإساءة إلى الأزهر لأنه قرة العين ، ولا إلى شيخه لأن مقامه من مقام الأزهر .. كذلك لا أقصد بما كتبت جدالاً .. وقد يقرنى البعض ولا يقرنى البعض الآخر .. ولا مانع من أن تختلف آراؤنا .. والمهم هو التجرد من الهوى .. وعلى الله قصد السبيل .

محمد عبدالله السمان

القاهرة : ص . ب : ١٦٢١
هاتف ٥٦٨٣٥٦٤



حوار صحفى
مع
فضيلة الإمام الأكبر

حوار صحفى مع فضيلة الإمام الأكبر

أجرى الحوار : **سناء السعيد**

رغم حدّة الأسئلة وحساسيتها ، أجاب عنها كلها – وبرحابة صدر – فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور – محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر .

سألناه .. هل يوافق على دعوة منع مهاجمة اليهود من فوق المنابر ، تلك التى يتبناها الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف ؟ وهل الأزهر يخضع للدولة ؟ .. ولماذا رفض تلبية دعوة وجهت له لزيارة السودان؟

وسألناه أيضاً .. عن رأيه فى بعض القوانين الموجودة حالياً ، والتى لا تردع مرتكبى بعض الجرائم .. وعن دور علماء الدين خاصة فى الأمور الاجتماعية الكبيرة والملمات التى يتعرض لها المجتمع .

أما أول أسئلتنا فقد كان عن التعنت الإسرائيلى خاصة بالنسبة للأماكن الإسلامية المقدسة التى لا تزال تحت قبضتها .

** هناك اقتراح بأن تكون القدس عاصمة للأديان الثلاثة ، وقيل بأن إسرائيل قد تقبل بهذا الطرح شريطة أن تكون القدس عاصمة إسرائيل الأبدية الموحدة ؟

●● ما هو المقصود بقدس موحدة وأن تكون عاصمة إسرائيل الأبدية ؟ إن القدس الشرقية أرض عربية ويصدق عليها ما يصدق على الأراضى العربية التى احتلتها إسرائيل فى يونيو ٦٧ .. ولابد لإسرائيل من الانسحاب منها بموجب القرارات الشرعية الدولية ٢٤٢ ، ٣٣٨.

* * *

** إسرائيل تتحدث عن القدس كعاصمة موحدة تحت سيادتها وتقول من الممكن أن تكون مفتوحة دينياً بيد أنها ستظل مغلقة سياسياً ؟

●● لا نوافق على هذا بالطبع .. ستظل القدس مفتوحة دينياً وسياسياً وخارجياً وداخلياً وللمسلمين وللناس جميعاً .. ويجب أن تكون الإدارة فى القدس والمسجد الأقصى للمسلمين ، لأن هذه البلدة يعيش فيها المسلمون منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، أما إذا كان المقصود أن تكون موحدة لكل الأديان حيث يأتى إليها كل دين لممارسة شعائره فهنا نقول : على العين والرأس . وأعود فأقول : بأن القدس فيها المسجد الأقصى يجب أن تبقى إدارتها للمسلمين ، لأن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين وأحد المساجد التى يُشَدُّ إليها الرحال ، ويجب أن يعيش المسلمون فيها آمنين مطمئنين .. وأيضاً يجب أن يعيش فيها النصارى واليهود آمنين مطمئنين .

* * *

** إسرائيل تتشبث بالإشراف الكامل على الحرم الإبراهيمى الشريف وترفض مشاركة الفلسطينيين فى الإشراف ، كما أنها ترفض مشاركة الشرطة الفلسطينية فى الدوريات بالمكان ؟

●● ما معنى ذلك .. هذا الرفض نحن لا نؤيده بأية صورة من الصور ، فالحرم الإبراهيمى منسوب إلى سيدنا إبراهيم .. ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ

بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٦٨] ونحن الذين اتبعناه ، ولما كانت العبادة لله الواحد القهار فيجب أن يشرف المسلمون على الحرم الإبراهيمي وأن يؤدوا شعائرهم فيه ويجب أن يؤدى فيه المسلمون الصلاة كما يؤدونها فى الكعبة المشرفة فى المسجد الحرام أو المسجد النبوى .

* * *

** هناك دعوة صدرت من شهرين لمنع الدعاة من مهاجمة اليهود .. هل تتفقون مع هذه الدعوة ؟

●● ما قال عاقل بأن مهاجمة الظالم يمنع منها من وقع عليه الضرر . مصر من رئيس جموريتها إلى أقل فرد فيها كلها تتفق بأن مهاجمة الظالم بالحق والعدل أمر واجب .. ما لا نريده هو المواجهة بدون دليل .. لكن مادامت المهاجمة لظالم أو معتد أو مجرم فهى واجبة .. بل إن شريعة الإسلام تأمر بها ، وكذلك القوانين الوضعية ، ولا يوجد عاقل يستطيع القول بأن مهاجمة اليهود – عندما يرتكبون ما يسىء إلينا فى ديننا أو أعراضنا أو أموالنا – محظورة ويجب ألا تكون .. ولكن فى الوقت نفسه يجب أن تكون المهاجمة موضوعية ترتكز على سبب حقيقى وتأتى نصرة للحق ، ودحراً للباطل .. ذلك أن المهاجمة التى لا تقوم على أساس ضررها أكبر من نفعها .

* * *

** رفضتم الذهاب إلى السودان عندما دعيتم لكى تؤموا صلاة الجمعة بالمسجد الرئيسى بالخرطوم . ما هى الأسباب ؟

●● أنا لم أرفض .. ولكن يحسن هنا أن أوضح هذه القضية .. كونى « شَيْخُ أزهرٍ » يعنى أننى موظف رسمى فى الدولة ، وأعرف ما يجب

عليّ نحو وطني .. هناك جهات معينة هي التي توافق على سفرى أو لا توافق .. وهى الأدرى بالظروف حيث الأجواء أمامها واضحة ، وعليه فإن أية دعوة تأتينى من الخارج لابد أن تأتينى عن الطريق الرسمي .. فأنا كشيخ للأزهر بدرجة رئيس وزراء .. ومن ثَمَّ لابد أن تأتينى الدعوة من رئيس وزراء الدولة الداعية ، وأن تأتينى عن طريق وزارة الخارجية ، وتوجه الدعوة من الدولة الداعية إلى سفيرنا لدى تلك الدولة ، وسفيرنا يوجهها إليّ وأرسلها أنا إلى الخارجية لتقول رأيها .. وبعد الخارجية هناك جهات أخرى على أعلى المستويات تقول رأيها أيضاً .. فإذا رأت تلك الجهات - خاصة وأن الصورة تكون واضحة أمامها - أن في زيارتى لتلك الدولة خيراً يعود على مصر فعندئذ سأكون أول الملبين للدعوة .. لكن إذا لم تَأْذَنْ الجهات الرسمية التى لدينا أو أشارت عليّ بعدم تلبيتها فى هذا التوقيت ؛ فأنا فى هذه الحالة أقول : سمعاً وطاعة - لأن القرآن الكريم يأمرنا بأن نسأل أهل الخبرة ﴿فَسْئَلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، فأنا لست إنساناً فى غير وظيفة .. بل على العكس أنا فى وظيفة رسمية ولا ألبى دعوة أية جهة خارجية إلا بعد أن تقرها الجهات المسئولة من خارجية وأمنية حتى إذا أعطتنى الضوء الأخضر سارعت بتلبية أية دعوة ، فأنا لا ألبى الدعوات إلا عندما تأذن الدولة لى بذلك وهذا أمر مُسَلَّمٌ به فى جميع أنحاء العالم .

* * *

** ولكن ذلك من شأنه أن يعطى الانطباع بأن الأزهر يخضع للدولة رغم أن المفروض أن يكون جهازاً مستقلاً ؟

●● الأزهر لا يخضع للدولة .. الأزهر كمؤسسة رسمية في الدولة هو أستاذ لغيره فى حدود تخصصه أياً كان هذا الغير ، وكلمة الأزهر فى الأمور الدينية تعلو كل كلمة فى الدولة ، ولكن كلمة جهات

الاختصاص فيما يتعلق بالأمور السياسية والأمنية فوق كلمة الأزهر .
نحن نتعاون .. فليس معنى أن أستجيب للدولة فى شأن كهذا أن أكون خاضعاً ، فما أفعله هنا يوجبه علىّ مراعاة غيرى من المتخصصين فى الجوانب الأمنية والسياسية .

وأنا أتحدث فى نقطة محددة .. أنا أومن بها وقالها الإمام الغزالى منذ أكثر من ألف سنة : « ما من عالم فى فن إلا وهو تلميذ لغيره فى فن آخر » . فأنا أستاذ لك فيما يتعلق بالناحية الدينية ولكن من الجائز أن تكونى أعلى منى فيما يتعلق بالأمور السياسية ، ولهذا عندما أريد الإقدام على أمر ما فإنى أستشيرك بحكم أن لَـدَيْكِ الأنوار الكاشفة أكثر منى فى الأمور السياسية ، فإذا قُـلْتِ لى إن هذه المسألة من الناحية السياسة ليست مناسبة سأقول لك عندئذ : سمعاً وطاعة لأنك أنت من أهل الخبرة فى هذا المجال .. والقرآن يقول ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ...﴾ [النحل : ٤٣] فليس معنى عدم تلبيتى الدعوة للذهاب إلى السودان خضوعى للدولة ، وإنما معناه استجابتى للمصلحة العامة التى يراها من هو أدرى منى بهذه المصلحة فى جوانب ليست دينية مثل الجوانب السياسية والأمنية والشخصية ، وفى هذه الحالة أنا ملزم أن أطيع غيرى فيما هو حق وعدل .

* * *

** هناك جرائم فى المجتمع لم يعد القانون يشكل رادعاً بالنسبة لها ، وأذكر على سبيل المثال قضية الاغتصاب ، والتى امتدت إلى الأطفال .. ألستم معى بأنه يجب أن تسن قوانين رادعة ضدها !

●● أعتقد أن القوانين الرادعة موجودة بدليل أن هذه القوانين فى تصورى تتيح للجهات القضائية أن تحكم على المغتصب بالإعدام ؟ ولكن أكثر الأحكام لا تصدر بالإعدام .. فهذه مسألة ترجع إلى

ضمير القاضى نفسه ، لأن القاضى قد يكون مقتنعاً بأن هذا المغتصب يستحق عقوبة الإعدام فيحكم بها ، وقد لا يكون مقتنعاً بأن ارتكاب جريمة معينة لا يؤدى إلى الحكم بالإعدام فيحكم حكماً آخر هو قد اقتنع به .

** ولكن ماذا عن القصاص فى الإسلام بالنسبة للمغتصب ؟

●● **بينه الله الكريم فى قوله عز وجل : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [البقرة : ١٧٩] **، إذن القصاص أمر من الله أما معنى (ولكم فى القصاص حياة) أى حياة آمنة شريفة سعيدة .. يا أولى الألباب أى يا أصحاب العقول السليمة .. فمن الناحية الشرعية نجد أن شريعة الإسلام صانت أموال الناس وأعراضهم وأرواحهم وكرامتهم .. فإذا جاء إنسان واعتدى على أعراض الناس وحرماتهم .. فإن « شريعة الإسلام » تأمر بأن يعاقب هذا المعتدى بالعقوبة التى تتناسب وجريمته .. والقوانين الوضعية الموجودة فيما يتعلق بحماية الأعراض لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية ، بدليل أن القاضى قد يقتنع بأن المعتدى على عرض غيره يستحق عقوبة الإعدام فيحكم عليه بها وتلك هى شريعة الإسلام .**

** وماذا إذا لم يقتنع ولم يزد حكمه على عدة سنوات بالسجن ؟

●● **هذه مسألة مردها إلى اقتناع القاضى .. فإذا قلنا لماذا لا يحكم على كل من يتهم بتهمة بالإعدام لكان معنى ذلك أننا نُنَصِّبُ أنفسنا قضاة ونتجاوز بذلك الجهة القضائية الرسمية ، وكأننا نقول لها عندئذ : اعتزلى أنت منصة القضاء ونحن الذين سنتولى إصدار الأحكام وهذا لا يليق عقلاً .**

** كارثة السيول التى اجتاحت « قنا » كانت تتطلب تضافراً من الجميع للتخفيف من حجم المأساة على مواطنى الصعيد ، ألا ينبغى أن يكون

رجال الدين قدوة فى الدعوة إلى التضافر ومساعدة هؤلاء فى مثل هذه الملمات ؟

●● نحن لا نؤيد بالطبع أن يتحرك من يتعرض لكارثة بمفرده ، ولكن الجهات الدينية جهات إرشاد وتوجيه ، وليست جهة تنفيذ – وتسليط الضوء على وجوب التضافر ، وتقديم يد العون للآخرين أمر واجب .. وهو ما أتناوله دائماً فى أحاديثى الدينية وأكرر دائماً حديث النبى ﷺ: « من نَـفَّسَ عن مسلم كربة من كُرَبِ الدنيا نفس اللّه عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » ، وأردد قول الله تعالى : ﴿.. وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّـقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوانِ ... ﴾ [المائدة : ٢] ومن حق كل مصرى ، سواء أكانَ مسلماً أم نصرانياً أن يحظى بنفس الفرص ، وإخواننا الذين أصيبوا بكوارث سواء أكانت فى أسوان أو قنا أو سوهاج أو أسيوط أو المنيا أو فى أى بقعة « فى مصر » من حقهم علينا أن نسعى إلى مساعدتهم كحاكمين ومحكومين فإننا مسئولون أمام الله أن نقدم لهم يد العون والمساعدة .. وإذا قصرنا فى ذلك سيسألنا الله – عز وجل – عن هذا التقصير ، وهذا بالنسبة للجزاء من الناحية الدينية ، أما الجزاء من الناحية الاجتماعية فإن تقصيرنا سيؤدى إلى الإكثار من التطرف والتخريب والإرهاب لأن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها ، فإذا وجدت أننى فى مصيبة ولم يساعدنى أحد وخرجت منها بتوفيق من الله فإنى سأكون مشحوناً بمشاعر عدم الحب ، فإذا حلت مصيبة ببلدى – لا قدر الله – فإنى عندئذ لن أغار ولن أسعى لإزالتها وإنما أقول كما قال أمير الشعراء فى قصيدة طويلة :

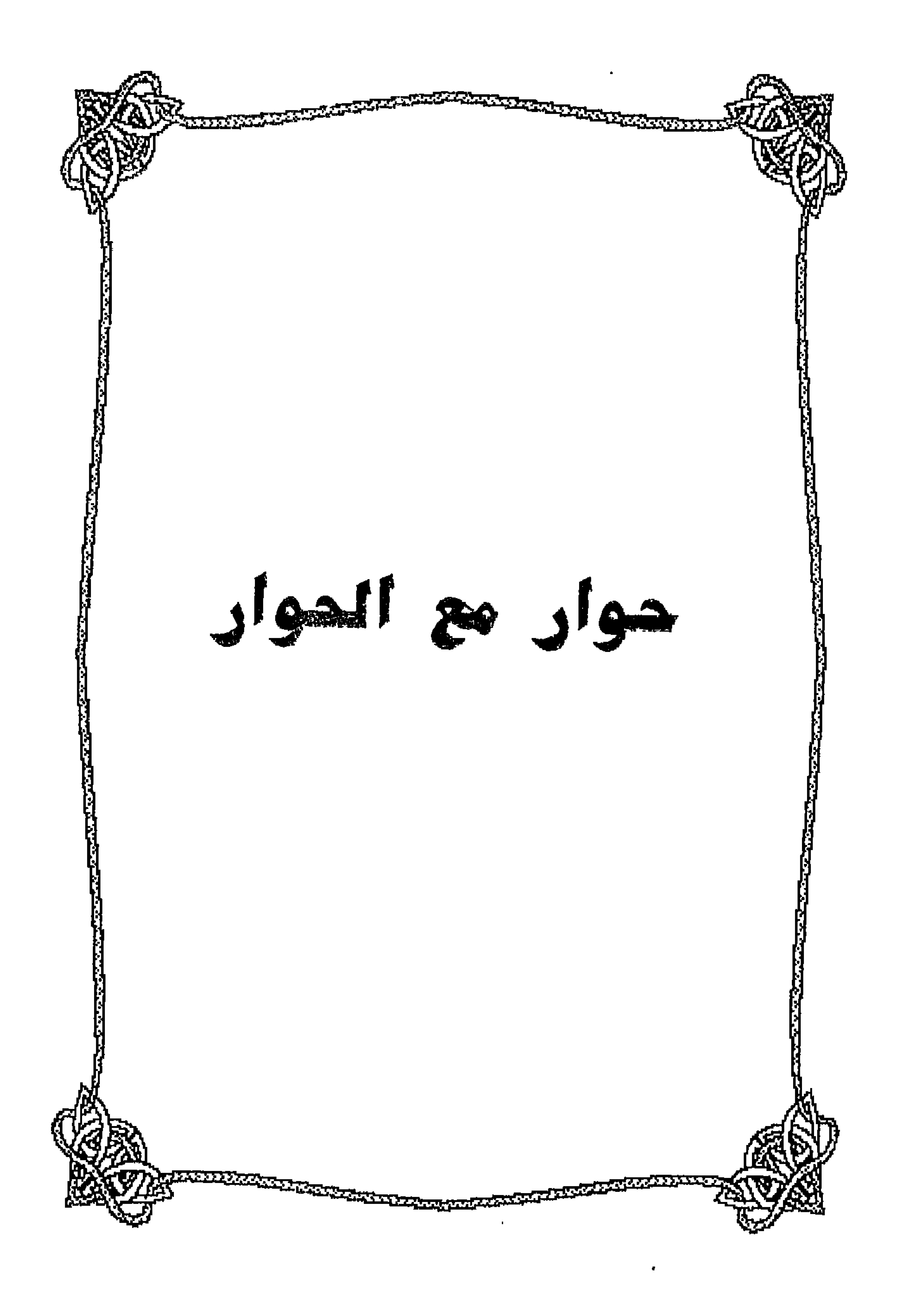
لا أذود الطير عن شجر   قد بلوت المر من ثمره

* * *

** هل أنتم راضون عما يعرض على شاشات التليفزيون خلال شهر رمضان ؟

●● كل ما نريده أننا نرجو أن تكون البرامج متناسقة ومتناسبة تتضمن النواحي الاجتماعية الطيبة والتمثيليات الهادفة التي تدعو إلى مكارم الأخلاق والأحاديث الدينية والعلمية .. برامج فيها الترفيه البرىء الذى لا يتنافى مع مكارم الأخلاق .

* * *



حوار مع الحوار

حوار مع الحوار

● قدمت مجلة الأزهر للحوار الصحفى مع فضيلة الإمام الأكبر .. فقالت :

« برغم هذه الأسئلة وحساسيتها أجاب عنها كلها فضيلة الإمام الأكبر برحابة صدر ..

وأقول : إن الإسلام لا يعرف هذه الحساسية ؛ لأن مبدأه الذى قامت عليه دعوته :

« **هذا حق .. وهذا باطل** » ولا وسط بينهما .. والحق والباطل إنما يسيران على خطين متوازيين ، ومحال أن يلتقيا ، وصدق الله العظيم : ﴿ **فاصدع بما تؤمر ...** ﴾ [سورة الحجر الآية : ٩٤] ﴿ **فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم** ﴾ [سورة الزخرف الآية : ٤٣] .

ومع ذلك فكلمات المجلة قد بعثت شيئاً من الراحة النفسية ، وتوقعنا - قبل قراءة الحوار - أن إجابات فضيلة الإمام الأكبر ستلتزم بالمنهج الإسلامى فى الحوار الذى يقوم على الصراحة وكلمة الحق مما يجعل فضيلة الإمام الأكبر على المستوى اللائق بمكانته - على الأقل - فى نظر الشعوب المسلمة الأخرى التى ترى شيخ الأزهر فى أسمى منزلة وأعز مكانة .. فهل كان ما توقعناه وتمنيناه ؟! أم أن الإمام الأكبر قد احتاط لنفسه وكان دبلوماسياً فى إجاباته عن أسئلة المحررة ؟!!

ونحن لا نتعرض لكل إجابات الإمام الأكبر عن الأسئلة التى وجهت إليه .. فمسألة القدس ، ومسألة الحرم الإبراهيمى - على سبيل المثال - كانت إجابة فضيلته تتفق وسياسة الدولة .

●● وسألت المحررة فضيلة الإمام الأكبر : هل يوافق على دعوة منع

مهاجمة اليهود من فوق المنابر .. تلك التي يتبناها الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف؟

أجاب فضيلته :

« ما قال عاقل بأن مهاجمة الظالم يمنع فيها من وقع عليه الضرر .. ما لا نريده هو المواجهة بدون دليل .. لكن ما دامت المهاجمة لظالم أو معتد أو مجرم فهي واجبة .. بل إن شريعة الإسلام تأمر بها وكذلك القوانين الوضعية ، ولا يوجد عاقل يستطيع القول بأن مهاجمة اليهود — عندما يرتكبون ما يسيء إلينا في ديننا أو أعراضنا أو أموالنا — محظورة ، ويجب ألا تكون .. ولكن في الوقت نفسه يجب أن تكون المهاجمة موضوعية ، ترتكز على سبب حقيقي ، وتأتي نصرة للحق ودحراً للباطل .. وذلك أن المهاجمة التي لا تقوم على أساس ضررها أكثر من نفسها » .

يا فضيلة الإمام الأكبر :

هل جرائم قتلة الأنبياء في حاجة إلى دليل؟ مع قول الحق سبحانه : ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ... ﴾ وقوله جل شأنه : ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ ؟!! .

وفي سورة البقرة : ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ ؟!! .

ونتساءل في أسى مرير :

ماذا يقصد فضيلة الإمام الأكبر بعباراته الأخيرة :

« ولكن في الوقت نفسه يجب أن تكون المهاجمة موضوعية ترتكز على سبب حقيقي ، وتأتي نصرة للحق ودحراً للباطل .. ذلك أن المهاجمة التي لا تقوم على أساس ضَرَرُهَا أكثر من نفعها ..؟

هل يتفق مثل هذا القول مع سلوكيات بنى صهيون وجرائمهم التى لا تتوقف ؟!! أم أنها الدبلوماسية التى يحرص عليها فضيلة الإمام الأكبر ؟!!

ونتساءل فى أسى مرير أيضاً :

هل يظن السيد الدكتور وزير الأوقاف أن الكرسى الذى يسترخى فوقه خالد له ؟!!

وهل متى قدم من تنازلات أيزيد ذلك فى عمر كرسيه الافتراضى بالنسبة له ؟!!

أهى السياسة الموجهة التى لا مفر من الاستجابة لها .. أم هو الاجتهاد الذى يتجاوب مع السياسة العليا ؟!!

وهناك افتراض ثالث :

مادامت وزارة التعليم قد تصرفت فى منهج التاريخ والتربية الدينية بما يتفق وهوى واشنطن فلن تكون وزارة الأوقاف دون وزارة التعليم !!

* * *

●● وسألت المحررة عن رأى فضيلة الإمام الأكبر فى أن هناك جرائم فى المجتمع لم يعد القانون يُشَكِّل رادعاً بالنسبة لها ، وذكرت على سبيل المثال : « **قضية الاغتصاب** » والتى امتدت إلى الأطفال .. ألا يجب أن تسن قوانين رادعة ضدها ؟؟!

أجاب فضيلته :

« أعتقد أن القوانين الرادعة موجودة بدليل أن هذه القوانين فى تصورى تبيح للجهات القضائية أن تحكم على المغتصب بالإعدام » .

وأضاف فضيلته :

« والقوانين الوضعية الموجودة فيما يتعلق بحماية الأعراض لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية ، بدليل أن القاضى قد يقتنع بأن المعتدى على عرض غيره يستحق الإعدام ، فيحكم به ، وتلك هى شريعة الإسلام » .

وسألته المحررة : وماذا إذا لم يقتنع « القاضى » ولم يزد حكمه على عدة سنوات ؟!

وكانت إجابة فضيلة الإمام الأكبر مثيرة للعجب :

« هذه مسألة مردها إلى اقتناع القاضى ، فإذا قلنا : لماذا لا يحكم على كل من يتهم بتهمة بالإعدام لكان معنى ذلك أننا ننصب أنفسنا قضاة ، ونتجاوز بذلك الجهات القضائية الرسمية ، وكأننا نقول لها عندئذ : اعتزلى أنت منصة القضاء ، ونحن الذين سنتولى إصدار الأحكام ، وهذا لا يليق عقلًا » .

يا فضيلة الإمام الأكبر :

لا يمكن أن يتصور إنسان أن هناك من يتساءل لماذا لا يحكم على كل من يتهم بتهمة بالإعدام ؟ نحن بصدد جريمة الاغتصاب وهى تتضمن جريمة الزنا ، وحده معروف : **الجلد أو الرجم** ، فإذا اقترن الاغتصاب بالخطف من الطريق تحت تهديد السلاح ، فنكون بصدد جريمة أخرى هى جريمة : الحرابة !!

أما مسألة « اقتناع القاضى » فلا مكان لها فى شريعة الله ، لأن أحكامها فى مجالى « الحدود والقصاص » واضحة ومحددة .. على خلاف « التعزير » لأن أمر التعزير مفوض إلى ولى الأمر .

يقول فضيلة الإمام الأكبر :

« والقوانين الوضعية الموجودة فيما يتعلق بحماية الأعراض لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية » .

يا سبحان الله : كيف يا فضيلة الإمام الأكبر ؟!! إن الخيانة الزوجية ليست من النظام العام فى القانون الوضعى .. أى أن النيابة لا ترفع الدعوى من تلقائها ، بل لابد أن يرفع الزوج هذه الدعوى .

ثم إن الفتاة البكر إذا حملت سفاحاً لا تعاقب فى القانون الوضعى ، ولا يعاقب مرتكب الجريمة إلا إذا كان اغتصاباً أو كانت الفتاة قاصراً ،

والقانون الوضعى يحفظ القضية تجاه الآثم إذا قبل الزواج من ضحيته .

ونسأل فضيلة الإمام الأكبر :

هل إذا طبقت الشريعة فى جزئية من الجزئيات نعتبر أن شريعة الله مطبقة فى مصر ؟!!

أليست رزايا الميسر والخمر والربا تمارس فى حماية القانون الوضعى ؟!!

هل تقام الحدود عندنا ، وهل يتم القصاص التزاماً بشريعة الله ؟!!

وهل ينسى فضيلة الإمام الأكبر وهو المفتى السابق أن رأى المفتى - أى الشرع - فى عقوبة « الإعدام » للقاتل .. رأى استشارى ؟!!

أليس فى هذا الوضع مهانة للشريعة ، وتهميش لمنصب الإفتاء .. وهو أَجلُّ المناصب الدينية ؟!!

﴿ ... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

[البقرة : ٨٥ ، ٨٦]

* * *



حوار حول الحوار

حوار حول الحوار

* * إن هذا الفصل هو الدافع الأساسى عندى .. لأن ما جاء على لسان الإمام الأكبر يهبط بقيمة هذا الأزهر ، ومن ثَمَّ بقدر شيخه باعتباره رمزًا له .. وحِرْصُنَا على مكانة الاثنين وكرامتهما هو الذى جعلنا نحرص على الحوار حول الحوار .. وبخاصة أن هذا الحوار نشر فى جريدة الوفد ، ونشر فى مجلة الأزهر وهى مجلة تذهب إلى شتى نواحى المعمورة ، ولها سمعتها واحترامها .

كان سؤال المحررة :

* * « رفضتم الذهاب إلى السودان ، عندما دعيتم لكى تؤموا صلاة الجمعة بالمسجد الرئيسى بالخرطوم .. ما هى الأسباب ؟

وكانت إجابة الإمام الأكبر :

•• « أنا لم أرفض .. ولكن يحسن هنا أن أوضح هذه القضية .. كونى شيخ الأزهر يعنى أننى موظف رسمى فى الدولة ، وأعرف ما يجب علىَّ نحو وطنى .. هناك جهات معينة هى التى توافق على سفرى أو لا توافق .. وهى الأدرى بالظروف حيث الأجواء أمامها واضحة .. وعليه فإن أية دعوة تأتينى من الخارج لابد أن تأتينى عن الطريق الرسمى .. فأنا كشيخ للأزهر بدرجة رئيس وزراء .. ومن ثَمَّ لابد أن تأتينى الدعوة من رئيس وزراء الدولة الداعية ، وأن تأتينى عن طريق وزارة الخارجية ، وتوجه الدعوة من الدولة الداعية إلى سفيرنا لدى تلك الدولة ، وسفيرنا يوجهها إلىَّ .. ثم أُرسِلُها أنا إلى الخارجية لتقول رأيها .. وبعد الخارجية هناك جهات أخرى على أعلى المستويات تقول رأيها أيضاً ، فإذا رأت تلك الجهات – خاصة وأن الصورة تكون واضحة أمامها – أن فى زيارتى لتلك الدولة خيرًا يعود على مصر .. فعندئذ سأكون أول الملبين للدعوة .. لكن إذا لم ترد الجهات الرسمية التى لدينا ، أو أشارت علىَّ بعدم تلبيتها فى هذا

التوقيت .. فأنا فى هذه الحالة أقول : سمعاً وطاعة .. لأن القرآن الكريم يأمرنا أن نسأل أهل الخبرة : ﴿ .. فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [سورة النحل : ٤٣] .

وأضاف الإمام الأكبر :

« فأنا لست إنساناً فى غير وظيفة .. بل على العكس أنا فى وظيفة رسمية ، ولا ألبى دعوة أية جهة خارجية إلا بعد أن تقرها الجهات المسئولة من خارجية وأمنية ، حتى إذا أعطتنى الضوء الأخضر سارعت بتلبية أية دعوة .. فأنا لا ألبى الدعوات إلا عندما تأذن الدولة لى بذلك ، وهذا أمر مُسَلَّمٌ به فى جميع أنحاء العالم .

* * *

إنه لتنازل كبير من الإمام الأكبر ، وتواضع أكبر .. فهو يعتبر نفسه موظفاً عادياً فى الدولة لا يملك إرادته .. وشأن الموظف : السمع والطاعة والالتزام بالسياسة العليا والدنيا للدولة .. وليس ممثلًا للدعوة الإسلامية .. فهو هنا إنما يتحدث بلسان حاله ، وظروف وظيفته ، وحرصه عليها ، ولا يتحدث بلسان الإسلام أو حتى الأزهر الذى يمثله فرضاً ..

إن كل ما يهمه هو الحرص على التبعية لسياسة الدولة والإخلاص والوفاء لهذه التبعية .. لذا فالمهم أن تعود زيارته على مصر بالنفع - كشرط أساسى - إذن فلا اعتبار للقب « **الإمام الأكبر** » مادام هذا اللقب غير ذى جدوى .

ولم ينس فضيلته أن يلفت أنظارنا إلى أنه بدرجة « رئيس وزراء » ولكنه نسى أن هذه الدرجة بالنسبة له هى درجة مالية - فحسب - وليست شرفية وبروتوكولية .. وحتى لو كانت كذلك فإن عالم الدين أكبر منها .

والعجيب أن يستشهد « الإمام الأكبر » لتعزيز سلوكه بالآية الكريمة : **﴿ .. فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾** وهو استشهاد فى غير

موضعه .. ومن المنطق أن السائل لأهل الذكر يملك إرادته .. وإلا لما كان هناك أى داع للسؤال ، وقد أكد فضيلته بلسانه أنه لا إرادة له .. وإنما الإرادة للخارجية والجهات العليا : سياسية كانت .. أم أمنية .. أم غير ذلك !!

ثم إن الظروف والأحوال فى أية بقعة من بقاع المعمورة لم تعد خافية على أحد ، وليست فى حاجة إلى سؤال أهل الذكر بعد أن أصبحت وسائل الإعلام الحديثة تغنينا عن أن نسأل أهل الذكر !!

ولو كان فى إدارة الأزهر « مكتب للتحقيقات والمعلومات » يضم ذوى الخبرة ، كما فى الفاتيكان وإسرائيل وشتى الدول المتقدمة .. لما كان شيخ الأزهر فى حاجة إلى أن يسأل أهل الذكر .. صحيح أن فى إدارة مشيخة الأزهر مكتباً للاستعلامات .. ولكن كل ما يعنى هذا المكتب هو ما يتصل بالإمام الأكبر من أحاديث وتنقلات !!

إن هناك مئات المبعوثين من الأزهر إلى العديد من الدول الإسلامية وغير الإسلامية كان فى استطاعتهم أن يمدوا الأزهر بشتى المعلومات عن الأوضاع والأحداث التى تتصل بالإسلام والمسلمين ، وشتى التيارات السياسية والفكرية .. ولكن المبعوثين لا يقومون بهذه المهمة لأنهم لم يكلفوا بها ، وليس لديهم حافز لأن يؤدوا مثل هذه المهمة !!

وعلى العكس فإننا نرى المبشرين فى العالم الإسلامى يعتبرون أن مثل هذه المهمة هى الركيزة الأولى فى نشاطهم ، والذى قرأ دراسات الكاتب الأمريكى « جون جنتر » فى داخل أفريقيا وفى داخل آسيا ، وهى تتناول فى المقام الأول أنشطة المبشرين تلفه الدهشة ، ويثير أشجانه قصور المبعوثين الأزهريين وتقصيرهم .

وأذكر أننى كتبت مقالاً – منذ ثلث قرن – فى جريدة الأهرام تحت عنوان : « الإخوان الجمهوريون » ومرشدها بالسودان محمد محمود طه الذى أعدم فى عهد النميرى .. وهذه الحركة مشبوهة وممولة من الخارج ،

وقد عرفته عن كثب أثناء زياراتى العديدة للسودان .

وبرغم أننى كنت محررًا بمجلة الأزهر لم أسأل عن هذه الحركة المشبوهة التى استهدفت تقويض الثوابت من الإسلام .. بينما سئلت عن ذلك فى جهاز الأمن !!

وبعد إنشاء **مجمع البحوث الإسلامية** ليحل محل هيئة كبار العلماء توقعنا - وهو يضم علماء من العالم الإسلامى - أن يكون به مكتب للمعلومات يتابع أحوال الإسلام والمسلمين بالعالم .. ولكن هذا - وأنا آسف - لم يحدث !!

كان الأستاذ العقاد - رحمه الله - يكتب مقالًا فى مجلة الأزهر تحت عنوان : « ما يقال عن الإسلام » يتابع فيه حركة الفكر والنشر فى العالم لكى يتولى تفنيد الآراء التى تتهجم على الإسلام عقيدة وفكرًا .

وبعد وفاة العقاد عام ١٩٦٤ كلفنى رئيس التحرير الراحل الأستاذ « أحمد حسن الزيات » البحث عن بديل يحل محل العقاد .. وبعد أخذ ورد قبل « الدكتور الأهوانى » هذه المهمة ، ولم يستمر .. قال لى رحمه الله : لا تتعب نفسك فليس هناك من يجرؤ على أن يحل محل « العقـاد » فيعرى نفسه .. قلت له : صدقت .. كان العقاد رحمه الله آخر العمالقة .

هل الأزهر يخضع للدولة ؟

قالت المحررة للإمام الأكبر بعد اعتراف فضيلته بأنه موظف لدى الدولة يخضع فى كل تصرفاته لإرادة الدولة .

* * « ولكن ذلك يعطى الانطباع بأن الأزهر يخضع للدولة .. رغم أن المفروض أن يكون جهازًا مستقلًا » .

قال فضيلته :

•• « **الأزهر لا يخضع للدولة** .. **الأزهر** كمؤسسة رسمية فى

الدولة – هو أستاذ لغيره – فى حدود تخصصه – أياً كان هو الغير ، وكلمة الأزهر – فى الأمور الدينية – تعلو كل كلمة فى الدولة .. ولكن كلمة جهات الاختصاص – فيما يتعلق بالأمور السياسية والأمنية – فوق كلمة الأزهر .. نحن نتعاون .. فليس معنى أن أستجيب للدولة في شأن كهذا أن أكون خاضعاً ، فما أفعله هنا يوجبه علىّ دينى ، لأن تخصصى فى الجوانب الدينية يوجب علىَّ مراعاة غيرى من المتخصصين فى الجوانب الأمنية والسياسية » .

وأضاف فضيلته كلاماً سبق أن قاله !!

وأنا أتحدث فى نقطة محددة ، أنا أومن بها ، وقالها الإمام الغزالى منذ أكثر من ألف سنة :

●● « ما من عالم فى فن إلا وهو تلميذ لغيره فى فن آخر » .

فأنا أستاذ لك فيما يتعلق بالناحية الدينية .. ولكن من الجائز أن تكونى أعلى منى فيما يتعلق بالأمور السياسية .. فإذا قُلْتِ لى : إن هذه المسألة من الناحية السياسية ليست مناسبة ، سأقول لك عندئذ : سمعاً وطاعة لأنك أنت من أهل الخبرة فى هذا المجال ، والقرآن يقول : ﴿ .. فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ وليس معنى عدم تلبيتى الدعوة للذهاب إلى السودان خضوعى للدولة ، وإنما معناه استجابتى للمصلحة العامة التى يراها من هو أدرى منى بهذه المصلحة فى جوانب ليست دينية مثل الجوانب السياسية والأمنية والشخصية ، وفى هذه الحالة أنا ملزم أن أطيع غيرى فيما هو حق وعدل » .

ومعذرة إذا اضطررت إلى التعليق على هذه العبارات الأخيرة المكررة :

أقول مرة أخرى :

إن استشهاد شيخنا بالآية الكريمة استشهاد فى غير موضعه ، فلا نظن أن الإمام الأكبر وقد اعترف بأن الخارجية تبدى رأيها مسبقاً ، ولابد من أن يكون الرأى الأخير للجهات العليا .. سياسية كانت أم أمنية .. إذن فلم يكن لفضيلته خيار إذ لا إرادة له .

والإمام الغزالى يا فضيلة الإمام لم يمض عليه أكثر من ألف سنة كما ذكرتم فضيلتكم .. بل حتى ولا على مولده فنحن فى عام ١٤١٨ هـ ، وقد توفى الغزالى سنة ٥٠٥ هجرية .

ورأى الغزالى الذى استشهد به غير ذى موضوع فى هذه القضية ، وحديث فضيلته عن « **المصلحة العامة** » خارج عن موضوعنا .

السودان يا فضيلة الشيخ ، دولة مسلمة ولا جدال فى ذلك ، وهو محوط بدول معادية بشراسة للإسلام : أثيوبيا .. وأوغندا .. وكينيا .. وأريتريا .. « الدول المسلمة العربية » الخاضعة للطغمة الصليبية العميلة لكل من واشنطن وتل أبيب .. وهذه الدول تتلقى كل المعونات من أمريكا المتربصة بالسودان الدوائر ، لأن السودان شأنه شأن إيران لم ينحنِ .. ولم يركع لواشنطن التى نصَّبت نفسها شرطياً دولياً بما تملك من مال وقوة .

يا فضيلة الإمام الأكبر :

السياسة التى تتحدث عنها وترى أن كلمتها فوق كلمة الأزهر ، هى مجموعة من الأهواء والمصالح .. بل وتصفية الحسابات بين الزعماء ، ولذلك لعن الإمام محمد عبده السياسة .. وساس . ويسوس .. وسياسة .

ثم إنكم يا صاحب الفضيلة قمتم بزيارة الهند – والهند الهندوكية كما هى الوقائع – معادية للإسلام والمسلمين ، ولاتزال هناك عناصر عنصرية تمارس الإرهاب ضد المسلمين ، وتعتبرهم أجانب يجب أن يرحلوا عن الهند ، والحوادث أكثر من أن تحصى ، ومنها تدمير المساجد ، ولا يسأل عن هذه الحوادث أهل الذكر إذ لا يسأل عن معلوم .

وهل فضيلة الإمام الأكبر يعلم شيئاً عما يفعله الهندوس فى الهند بمسلمى كشمير ، برغم ما تذيعه وتنشره وسائل الإعلام الأجنبية ، ولم يعد خافياً على أحد ؟

لقد زرتم الهند فى أكتوبر قبل الماضى ، وأثنيتم على سياستها ، وعمق صداقتها لمصر ، وتأييدًا لما صرحتم به - حدث قبيل زيارتكم التاريخية - أن منع الهندوس « صلاة الجمعة » فى كشمير ، وقد لجأت السلطات إلى اعتقال العشرات وإحراق المنازل .

وإلى فضيلة الإمام الأكبر الذى زار الهند فى أكتوبر قبل الماضى طرفاً من التقرير الذى نشرته جريدة « المسلمون » فى ١٩٩٦/٩/٢٧ عن بعض جرائم الجيش الهندوسى :

(أ) ٥٠٫٠٠٠ عدد القتلى من مسلمى كشمير رجالًا ونساء .

(ب) ٦٠٫٠٠٠ عدد الجرحى من النساء والشيوخ والأطفال .

(جـ) ٢٠٠ عدد الذين أحرقوا أحياء فى مدينة « هندورا » وحدها .

(د) ٥٧٥ عدد الطلبة الذين أُحرقوا فى المدارس .

(هـ) ٣٨٠٠ عدد المطحونين تحت التعذيب .

(و) ٤٤٠٠ عدد الشباب الذين أصيبوا بالعقم بسبب التعذيب .

(ز) ٢٢١٥٠ عدد المهاجرين من كشمير المحتلة .

(ح) ٣٣٩٥ عدد المسلمات اللاتى هتكت أعراضهن جماعياً .

(ط) ١٨٥ عدد المسلمات اللاتى استشهدن بسبب هتك الأعراض !

(ى) ٩٩٧٢٥ عدد المنازل والدكاكين التى أحرقت .

(ك) ٥٨٥ عدد المساجد والمستشفيات والمدارس التى هدمت .

ولعلنا لم ننس بعدُ ما تقوم به القوات الهندوسية من قتل مسلمى الهند بين الحين والآخر ، وما هدمُ « مسجد البابرى » على من فيه عنا ببعيد !

وفى الثالث عشر من ديسمبر الماضى نشرت الجريدة نفسها تحت عنوان « **كشميرية تتعرض لاغتصاب الهندوس أمام أطفالها** » قالت :

اغتصبت قوات الجيش الهندى امرأة كشميرية أمام أطفالها الصغار بعد أن داهموا منزلها فى منطقة هندورا .. وبعدها قام الأهالى بنقل المرأة وعمرها ٤٥ عاماً إلى المستشفى بمدينة سرنجر ..

* * *

ولنعد من حيث ما بدأناه .. وهو صُلْبُ الموضوع الذى دفعنى إلى هذا الحوار مع الحوار .. أعنى موضوع عدم تلبية فضيلة الإمام الأكبر الدعوة لزيارة السودان .. فالمبررات التى ساقها فضيلته مرفوضة شكلًا وموضوعاً ، ماعدا مبررًا واحدًا وضع فيه النقاط على الحروف :

●● « كونى شيخ أزهر .. يعنى أننى موظف رسمى فى الدولة ، وأعرف ما يجب علىَّ نحو وطنى .. هناك جهات معينة هى التى توافق على سفرى أو لا توافق » .

إنه اعتراف من فضيلته بإلغاء شخصيته ، والهبوط بمكانة الأزهر .. ومثل هذا القول لا يتفق مع ما سمعه فى زيارته الهند نقلًا عن الكتاب الذى أصدرته مجلة الأزهر عن رحلته عدد رجب الماضى .. ص ٧٠ .

قال أحد المسئولين :

« فالأزهر له مكانة كبيرة لدى المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها .. وهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة فى أمور الإسلام ، وشيخ الأزهر الشريف الإمام الأكبر ليس لمصر وحدها ، ولا للعالم العربى وحده .. ولكنه الإمام الأكبر لكل المسلمين فى كل العالم » .

وقال السيد نارا يانان نائب رئيس جمهورية الهند ص ٧٠ :

« ونحن فى الهند نقدر الدور الرائد للأزهر الشريف فى قيادة العالم الإسلامى » .

وبرغم ما سمعه فضيلة الإمام الأكبر يذكر فى حواره الصحفى أن كلمة جهات الاختصاص فيما يتعلق بالأمور السياسية والأمنية فوق كلمة الأزهر .

إذن .. فضيلة الإمام الأكبر يتفق مع رأى العلمانيين الذين يرون فصل الدين عن الدولة .

الأزهر يا فضيلة الإمام الأكبر هو الممثل الإسلامى فى العقيدة والشريعة والسياسة .. فإذا تخلى عن رسالته هذه فقد تخلى عن كيانه ووجوده ، وأصبح مسجدًا تاريخياً يؤمه المسلمون ، وجامعات ومعاهد كسائر الجامعات والمعاهد .

ولا يمكن أن يكون فضيلة الإمام الأكبر لم يقرأ شيئاً من تاريخ الأزهر ومواقف أسلافه من مشايخه ، مما يؤكد أن كلمة الإسلام فوق كلمة السياسة ، وما هو أكبر من السياسة .

كان الشيخ الجليل **محمد مصطفى المراغى** ، شيخاً للأزهر إبان الحرب العالمية الثانية ، واضطرت مصر أن تدخل الحرب تحت ضغوط انجلترا التى كانت ما تزال تحتل مصر ، وبرغم المعارضة إلا أن رئيس الوزراء يومئذ أحمد ماهر لم يأبه بالمعارضة وأدى تهوره إلى مصرعه وهو بالبرلمان فى الرابع من فبراير عام ١٩٤٥ بعد أن تعرضت مصر لغارات الألمان ، ودفعت الثمن غالياً من أموالها ودماء أبنائها الأبرياء!! كان الشيخ المراغى يلقى درسه الدينى فى رمضان ، ولما سئل عن رأيه فى إعلان مصر الحرب على دول المحور (ألمانيا ، وإيطاليا ، واليابان) إلى جانب الحلفاء ، قال قولته الخالدة : « **هذه حرب – علم الله – لا ناقة لنا فيها ولا جمل** » لم يقل هذا أمر سياسى ولا دخل للأزهر ولا للإسلام به ، وتعرض فضيلته لكثير من الضغوط الداخلية والخارجية .. ولكنه ظل على موقفه !!

وكان الإمام الأكبر الشيخ **عبد المجيد سليم** شيخاً للأزهر ، ولما

طلب بعض المال للأزهر قيل له : الميزانية لا تسمح .. وكان الملك فاروق يومئذ فى مصيفه فى دوفيل ينفق بيذخ على موائد الميسر وبين أحضان الغانيات ، فأدلى الشيخ بتصريحه المشهور المحفوظ : « **تقتير هنا وإسراف هناك** » وترك كرسى المشيخة معززًا مكرماً !!

* * *

وكان الشيخ الجليل « **محمد الخضر حسين** » وكنت على صلة وثيقة به فى جمعية « الهداية الإسلامية » التى كان يرأسها ، وكان الشيخ بسيونى مديرًا لمكتبه .. قال لى الشيخ بسيونى - رحمه الله - : إن الشيخ إثر توليه المشيخة كتب « **استقالة** » غير مؤرخة من صورتين احتفظ بإحداهما فى مكتبه ، وأعطانى الأخرى قائلاً لى : إذا رأيتنى ضعيفاً فى موقف من المواقف فابعث بالصورة التى معك إلى المسئولين نيابة عنى .. وهذه مسئوليتك أمام الله .

وفى عام ١٩٥٣ حدث اعتداء فرنسا على سلطان المغرب محمد الخامس لمواقفه الوطنية ، وأبعد عن بلاده ، لكن بعض القبائل العميلة للاستعمار الفرنسى آزرت المعتدى ، وعقد الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين جلسة لهيئة كبار العلماء وأصدرت بياناً شديد اللهجة ضد عدوان فرنسا على السلطان الشرعى ، واعتبر البيان أن العملاء الخونة خارجون على الإسلام لموالاتهم للعدو الكافر المغتصب !! وأرسل البيان إلى جريدة « الأهرام » التى عرفت بولائها لكل حكومة وعرضته على المسئولين الذين طلبوا إرجاء نشره ، وفى الصباح لم يجد الشيخ بيان هيئة كبار العلماء منشورًا فى الجريدة ، فأرفق مع استقالته صورة من البيان وأرسلها إلى رئيس الجمهورية .. وكان أن نشر البيان كاملًا فى اليوم التالى تجنباً لمصادمات قد تحدث مع الأزهر شيوخاً وطلاباً حين تشاع أسباب الاستقالة !!

ورحل هؤلاء الشيوخ العظام .. لم تخلدهم الكراسى التى كانوا

يجلسون عليها .. وإنما خلدتهم مواقفهم ، واعتزازهم بأنفسهم كورثة للأنبياء !!

* * *

لما قدم الإمام الشافعى مصر فى أواخر حياته ، قال أصحابه له : «إذا كنت تري الإقامة بمصر فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به» فقال لهم الشافعى :

« لقد ولدت بغزة ، وربيت بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة ، وما بتنا جياعاً قط ، ومن لم تعزه التقوى ، فلا عز له » .

* * *

لا يافضيلة الإمام الأكبر :

ليست السياسة فوق كلمة الإسلام .. فالسياسة إن لم يقرها الدين فينبغى أن تكون تحت الأقدام .. والأمة المسلمة لم يصبها الوهن حتى أصبحت فى مؤخرة الأمم إلا بعد أن عزلت الدين عن السياسة لتكون الكلمة العليا للسياسة لا للدين .. والسياسة أهواء ومصالح ذاتية وتصفية حسابات بين الزعماء !!

يقول ابن الجوزى فى « المصباح » :

« وينبغى أن لا يخلى السلطان مجلسه من كبار العلماء الأخيار الأفاضل الذين يخافون الله .. فإن ذلك زيادة فى دينه ودنياه ، ولا يعمل شيئاً إلا بفتواهم » .

يا فضيلة الإمام الأكبر :

هل كان علماء السلف على جهل بأمور دينهم ، لأنهم لم يعزلوا الدين عن السياسة ؟ ألم يؤذ فى الله أمثال أبى حنيفة ، ومالك ، وابن المسيب ، وابن تيمية الذى مات فى سجنه ، والعز بن عبد السلام الذى عارض سياسة المماليك .

عندما أراد « قطز » أن يأخذ من الناس شيئاً يستعين به على قتال التتار جمع العلماء لأخذ آرائهم وفى مقدمتهم « العز بن عبد السلام » لبوا الدعوة ، ولم يقولوا : هذه أمور سياسة ولا شأن لنا بها .. بل قال له العز ابن عبد السلام رحمه الله :

« لا يجوز أن يؤخذ من الرعية شيء حتى لا يبقى فى بيت المال شيء .. وتبيعون ما لديكم من فاخر المال ، ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ، وتتساوون فى ذلك أنتم والعامة ، وأما أخذ أموال العامة مع بقاء ما فى أيدى الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا !! »

وتوفى العز بن عبد السلام فى عهد الظاهر بيبرس ، ولما بلغه وفاة الشيخ تنفس الصعداء وقال : « .. الآن استقر ملكى !! » .

أرأيت يا فضيلة الإمام الأكبر ؟ عالم واحد بإيمانه وثقته فى الله كان يهدد مُلْكَاً بأكمله ؟!!

* * *

وقبل أن نصل إلى النهاية نسوق هذه الكلمات المشرقة من تاريخ علماء السلف :

* فى « أعلام الموقعين » لابن القيم قال بعد أن ذكر الروايتين فى تفسير قوله تعالى : ﴿ .. **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ... ﴾ [النساء : ٥٩] .

« إن أولى الرأى العلماء أو الأمراء ، والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أَمروا بمقتضى العلم ، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء .. فإن الطاعة إنما تكون فى المعروف ، وما أوجبه العلم .. فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول ﷺ فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء » .

* قال الخليفة الخامس الراشد عمر بن عبد العزيز : « لأن يكون لى مجلس من عبيد الله - أحد القراء السبعة - أحب إلىَّ من الدنيا وما

فيها .. والله إنى لأشترى ليلة من ليالى عبيد الله بألف دينار من بيت المال » .

قالوا : يا أمير المؤمنين .. تقول هذا مع تحرّيك وشدة تحفظك ؟!

وقال : أين يذهب بكم .. والله إنى لأعود برأيه وبنصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف » .

* * *

* سأل الخليفة العباسى هارون الرشيد يحيى بن أكثم :

- ما أنبل المراتب ؟

- ما أنت فيه يا أمير المؤمنين .

- أَتَعْرِفُ مَنْ أجل منى ؟

- لا .

- لكنى أعرفه : رجل فى حلقة يقول : حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ .

- يا أمير المؤمنين : أهذا خير منك وأنت أمير المؤمنين ؟!!

- نعم .. ويلك .. هذا خير منى .. لأن اسمه مقترن باسم رسول الله .. لا يموت أبدًا ونحن نموت ونفنى والعلماء باقون ما بقى الدهر !!

* * *

* وقال عمر بن خالد : قلت لليث [الإمام الفقيه] : « بلغنى أنك أخذت بركاب ابن شهاب الزهرى ؟ قال : نعم .. للعلم .. فأما لغير ذلك فلا .. والله ما فعلت بأحد قط » .

والليث بن سعد كان رافع منار مصر - فى عهده - كما يقول ابن حجر العسقلانى .

* * *

* لما صب الخليفة هارون الرشيد الماء على يدى العالم المحدث (أبو معاوية بن محمد) الضرير وأعلمه بذلك قال له : « إنما أكرمْتَ العلم يا أمير المؤمنين !! .

* * *

* لما خرج الظاهر بيبرس لقتال التتار بالشام طلب فتاوى العلماء بجواز أخذ مال من الرعية .. فامتنع الشيخ محيي الدين النووى الذى قال للظاهر بيبرس : «أنا أعرف أنك كنت فى الرِّقِّ للأمير [بندقدار] وليس لك مال، ثم مَّنَّ الله عليك وجعلك ملكاً ، وسمعتُ أن عندك ألف مملوك كل مملوك له (حياصة) من الذهب ، وعندك مائة جارية لكل جارية حُقٌّ من الحلى ، فإذا أنفقت ذلك كله أفتيتك بأخذ المال من الرعية » .

فغضب الظاهر وقال له : اخرج من بلدى.. فأجاب : السمع والطاعة ، وخرج إلى [نوى] فحذر الفقهاءُ الظاهر .. قالوا له : إن الشيخ من كبار علمائنا ، وصلحائنا ، وممن يُقتدى به .. فأرسل إليه ليرجع إلى دمشق .. فامتنع الشيخ وقال : لا أدخلها والظاهر بها !! »

ومات الظاهر بيبرس بعد شهر .

* * *

* كلم الشعبى أمير العراقين عمر بن هبيرة فى قوم حبسهم ليطلق سراحهم .. فأبى .. فقا له الشعبى : «أيها الأمير .. إن حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم ، وإن حبستهم بالحق فالعفو يسعهم .. فتأثر الأمير وأطلق سراحهم !! .

* * *

* عندما قدم الرشيد [الرقة] انجفل - أى سارع - الناس خلف العالم عبد الله بن المبارك ، وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة ، فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج الخشب .. فلما رأت الناس قالت : ما هذا؟ قالوا :

عالم أهل خراسانَ قَدِمَ [الرقة] يقال له : عبد الله بن المبارك .. فقالت : « هذا والله هو المُلْكُ .. لا مُلْكُ هارون الذى لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان » !! الشُّرَط : جمع شرطى .

* دخل المعتمد البريطانى وممثل الاحتلال اللورد كرومر – جزار حادثة دنشواى المعروفة – دخل على شيخ الأزهر : الشيخ محمد الانبابى ، وسلم ، ورد السلام ، ولكنه صافح اللورد المتغطرس من جلوس ، فاستعظم اللورد كرومر ذلك ، ولما جلس إلى جانبه قال له : يا سيدنا الشيخ .. ألست تقوم للخديوى !! قال : بلى .. لأن الخديوى ولى الأمر ، .. وأما اللورد كرومر فليس منا .

وكَبُرَ الشيخ فى نظر اللورد ، وكتب ذلك فى أحد تقاريره إلى حكومته .

* * *

* رحم الله الإمام الليث بن سعد عالم مصر وفقيهها .. كان أمراء مصر فى عهده لا يقطعون أمرًا دونه » .. والإمام الليثى الذى قال عنه ابن حجر : كان يقارع مالكاً بالمدينة فى علمه ، ويقابل أبا حنيفة بتراثه بالعراق ، وعندما زار قبره الإمام الشافعى قال : « لله دَرُّكَ يا إمام .. لقد حزت أربع خصال لم يكملن لعالم : العلم .. والعمل .. والزهد .. والورع » !!

هذا الليث بن سعد حين زار هارون الرشيد سأله : ما صلاح بلدكم مصر ؟!! قال : يا أمير المؤمنين : صلاح بلدنا إجراء النيل وصلاح أمره .. ومن رأس العين يأتى الكدر .. فإذا صفا رأس العين صفت العين » قال الرشيد : صدقت يا أبا الحرث !!

والمعنى : ليس فى حاجة إلى توضيح .

* * *

* لما قدم الإمام الشاطبى على الأمير (عز الدين موسك) بالقاهرة وكان ضريرًا .. أحس بأن الأمير لم يكن فى استقباله بنفسه .. فأخذت الشيخ عزة العلم ، فانصرف تاركاً له رقعة كتب فيها :

قل للأمير نصيحة لا تركَنَنَّ إلى فقيه
إن الفقيه إذا أتى أبوابكم لا خير فيه

* * *

* رحم الله الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود – قال :

« لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم .. ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا على أهلها .. سمعت نبيكم ﷺ يقول : « من جعل الهموم هماً واحدًا هى آخرته كفاه الله هَمَّ دنياه ، ومن تشعبت به هموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديتها هلك » !!

* * *

* قال وهب بن منبه لعطاء الخراسانى :

« كان العلماء فينا استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم .. فكانوا لا يلتفتون إلى دنياهم .. وكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة فى علمهم .. فأصبح أهل العلم منا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة فى دنياهم .. فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم .. فإياك وأبواب السلاطين .. فإن عند أبوابهم فتناً كمبارِكِ الإبل .. لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثله » !!

* * *

* وعندما دخل عمرو بن عبيد على المنصور قال له :

« يا أمير المؤمنين .. إن الله – عز وجل – يقفك ويسألك عن مثقال

ذرة من الخير والشر .. وإن الأمة خُصَمَاؤكَ يوم القيامة وإن الله – عز وجل – لا يرضى منك إلا بما ترضاه لنفسك .. ألا وإنك لا ترضى لنفسك إلا بأن يعدل عليك .. وإن الله – عز وجل – لا يرضى منك إلا بأن تعدل على الرعية .. يا أمير المؤمنين .. إن وراءك نيراناً تتأجج من الجور .. والله ما يحكم وراء بابك بكتاب الله ، ولا بسنة نبيه ﷺ » !!

وبكى الخليفة .. فقال سليمان بن مجالد وهو واقف على رأس المنصور : يا عمرو قد شققت على أمير المؤمنين !! قال عمرو : يا أمير المؤمنين .. من هذا ؟! قال : أخوك سليمان بن مجالد .. قال عمرو : ويلك يا سليمان .. إن أمير المؤمنين يموت .. وإن كل ما تراه يفقد .. وإنك جيفة غدًا بالفناء .. لا ينفعك إلا عمل صالح قدمته ، ولقرب هذا الجدار أنفع لأمير المؤمنين من قربك ، إذا كنت تطوى عنه النصيحة ، وتنهى من ينصحه .. يا أمير المؤمنين .. إن هؤلاء اتخذوك سُلَّماً إلى شهواتهم !!

قال المنصور :

« فأصنع ماذا ؟! ادع لى أصحابك أُوَلِّهِمْ !! » .

قال عمرو : يا أمير المؤمنين : ادعهم أنت بعمل صالح تحدثه ، ومُرْ بهذا الخناق فليرفع عن أعناق الناس ، واستعمل فى اليوم الواحد عمالاً ، كلما رابك منهم ريب ، أو أنكرت على رجل عزلته ووليت غيره .. فوالله يا أمير المؤمنين لئن لم تقبل منهم إلا العدل ، ليتقربنّ به إليك من لا نية له فيه » !!

وكلام عمرو شبيه بكلام الليث للرشيد : « ومن رأس العين يأتى الكدر .. فإذا صفا رأس العين صفت العين » !! .

* * *

وبعد ..

لقد أردت أن أسوق هذه الروايات من مصادرها المعتمدة ، وأسأل فضيلة الإمام الأكبر : أكان هؤلاء العلماء الأفاضل الذين عَرَضْتُ مواقفهم يفرقون بين الدين والسياسة ، ويرون أن كلمة السياسة لها الأولوية ، ولها مختصون ليس منهم علماء الدين ؟!!

لقد كان من أولئك العلماء ذوو مناصب مرموقة فى الدولة .. فهل كانوا يعتبرون أنفسهم موظفين يأتمرون بأمر الدولة ، ويرون أنهم لا شأن لهم بالسياسة ؛ لأن السياسة من سلطة الدولة ؟!!

يا فضيلة الإمام الأكبر ..

فى كتاب الشقائق النعمانية لعلماء الدولة العثمانية : عندما أمر السلطان سليم بقتل مائة وخمسين رجلًا من حفاظ الخزائن قصد الجمالى المفتى الديوان العالى .. قال : أريد أن أدخل على السلطان ولى معه كلام .. ولما أُذِنَ له وجلس قال موجهاً كلامه إلى السلطان :

« إن وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان .. وقد سمعت أنك أمرت بقتل مائة وخمسين رجلًا لا يجوز قتلهم شرعاً .. فعليك بالعفو عنهم !!

ولما غضب السلطان وقال له : « إنك تتعرض لأمر السلطنة ، وليس ذلك من وظيفتك .. فقال : لا .. بل أتعرض لأمر آخرتك ، وإن ذلك من وظيفتى ، فإن عفوتَ فلك النجاة ، وإلا فعليك عقاب عظيم .

وتلاشت ثورة السلطان فعفا عنهم .

* * *



والأزهر في مفترق الطرق

شيخ الأزهر ..

وبابا الفاتيكان

والأزهر فى مفترق الطرق

شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان

أقول ويشهد الله وحده : إننا لا نضمر للأزهر إلا كل خير ، لأننا مسلمون والحمد لله .. والأزهر هو ركيزة الإسلام ، ونعتقد أن الأزهر ليس لمصر وحدها .. بل لسائر بلاد المسلمين !!

لقد شيده الفاطميون ليكون منطلقاً لدعوتهم الشيعية .. ولكنه سرعان ما تحرر من التبعية وصار منطلقاً للدعوة الإسلامية وعقيدته الصحيحة ، كما تحررت دويلة الفاتيكان من التبعية لإيطاليا تحررًا كاملًا فى الثامن عشر من فبراير عام ١٩٨٥ م بعد أن اعترفت إيطاليا بالفاتيكان !!

ولكن شتان بين الأزهر - غير المستقل - ودولة الفاتيكان .. الدويلة الصغيرة التى لا يزيد عدد سكانها على سكان أصغر ناطحة سحاب .. ولسنا هنا بصدد المقارنة بين شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان .. إذ لا وجه للمقارنة .. لأن :

الأول مُعْتَرِفٌ بأنه موظف تابع للدولة ، فهو يتأثر .. بينما **الآخر** حُرٌّ يؤثر ولا يتأثر .

الأول هواه تابع لهوى الدولة ، **والآخر** هواه تبع لهوى دينه !!

الأول عاجز عن الحركة إلا بأمر بعد إذن .. **والآخر** يتحرك حراً يلقى الأوامر ولا يتلقاها من أحد !!

الأول لا يملك متابعة الأحداث التى تستهدف العدوان على الإسلام والمسلمين .. **والآخر** يملك هذه المتابعة ويتبعها الحركة والعمل !!

منذ سنوات بعيدة أصدرت حكومة السودان أمرًا بطرد ثلاثة مبشرين كاثوليك ضبطوا متلبسين بمحاولة إثارة الفتنة وممارسة التجسس على أمور السودان ، وبادر الفاتيكان بالتحرك ، وجعل وزير خارجية لبنان يسافر إلى الخرطوم ، كما جعل سفراء فرنسا وإيطاليا وبريطانيا بالسودان يتوسطون لدى الحكومة السودانية لحل الأزمة ولإنهاء هذه المسألة !!

ومنذ سنوات معدودة أمر طاغية الصومال « محمد زياد برى » بإعدام سبعة وعشرين عالماً من المشايخ بسبب معارضتهم لقانون الأحوال الشخصية الجديد والذى يبتعد كثيرًا عن شريعة الله التى ارتضاها الله لعباده .. فماذا حدث ؟!!

كتب شيخ الأزهر .. برقية إلى زياد برى .. لا لكى يحذره .. بل ليرجوه أن لا ينفذ حكم الإعدام فى العلماء ، وأرسل صورة من البرقية إلى جريدة الأهرام .. ولكن الأهرام لم تنشر البرقية ، فاتصل شيخ الأزهر بالأستاذ « محمود الكولى » المحرر بالأهرام - رحمه الله - والذى ذكر للشيخ أن وزير الإعلام لم يسمح بنشر البرقية .. وتصادف أن كان وزير الإعلام فى زيارة لشيخ الأزهر فسأله عن سبب منعه نشر البرقية ، فأنكر وقال : لا علم لى بها .. وانتهت القصة .

وأقول مرة أخرى :

إن الأزهر ليس مجرد جامعة ومعاهد .. بل هو مؤسسة إسلامية شاملة ، وهى فى نظر الشعوب المسلمة الملجأ والملاذ .. ولكى يكون الأزهر كذلك يجب أن يكون هيئة مستقلة ، وليس هو فى منزلته أقل شأناً من الهيئة القضائية .. ولكى يكون شيخ الأزهر مستقلًا يجب أن يختاره أعضاء مجمع البحوث الإسلامية .. أو « هيئة كبار العلماء » كما كان يطلق عليه من قبل الذى حل محل هيئة كبار العلماء منذ زهاء ثلاثين عاماً بشرط أن يتغير أولًا شكل هذا المجمع ، فلا تكون أكثرية أعضائه مصريين !!

ليس شيخ الأزهر أقل من البابا فى مصر .. إذ ينتخبه المطارنة ..

شأنه شأن بابا الفاتيكان الذى ينتخبه الكرادلة ، وليس شيخ الأزهر أقل من رئيس المجمع اللغوى الذى ينتخبه الأعضاء .

* * *

ليس كل ما هو مطلوب من الأزهر أن يقوم شيخه من حين إلى آخر بزيارة دولة مسلمة هى شبيهة بالرحلات السياحية .. وإنما المطلوب من الأزهر أن يتابع الأحداث .. وبخاصة تلك التى تمارس عدوانها على الإسلام والمسلمين .. ونحن لا نَحْمِلُ الأزهر على حَمْلِ السلاح .. لأن سلاحه الإيمان بالله وبمسئوليته أمام التاريخ .. لأن سلاح الكلمة أقوى انعكاساً وأكثر تأثيرًا !!

وليحاسب الأزهر نفسه حتى يعيد ترتيب أوراقه من جديد !

●● أكان له دور – أى دور – فى الحروب الأهلية التى دارت رحاها بين المسلمين أنفسهم ، وفيها سفكت دماء المسلمين بأيدى المسلمين .

* بين إيران والعراق – ثمانية أعوام حسوم !!

* وفى الصومال .. ومازالت الحرب مستعرة ؟!!

* وفى تشاد ، وفى أرتيريا .. وهناك فى الشيشان ..

وفى مأساة دولة مسلمة هى أفغانستان ، التى لم تضع الحرب فيها بعد أوزارها ؟!!

* فى بلغاريا .. وفى الفلبين .. وفى بورما .. وفى سيلان .. وفى روسيا المنحلة .. وفى الصين .. الصديقة ؟!! بل وفى الهند الهندوسية الأكثر صداقة ؟!!

●● أكان للأزهر أى دور – فيما حدث وفيما يحدث اليوم – من اعتداءات همجية غاشمة على المسلمين وانتهاك أعراضهم ، وسلب أموالهم ؟!

هل بلغ فضيلة الإمام الأكبر ما حدث أخيرًا فى كشمير فى الجزء الذى تحتله الهند « الصديقة » ؟!!

لقد أذاعت محطة لندن فى ١٣ مارس ١٩٩٧م أن الجماهير المسلمة احتجت على وجود تمثال بقاعة المحكمة فى واشنطن للرسول - صلوات الله عليه وسلامه - ورفضت المحكمة إزالة التمثال ؟!!

والفرق بين ما حدث بالأمس واليوم فى أمريكا واضح .. فقد عرض أحد المثالين تمثالاً للرسول ﷺ ورفض إزاحته عند احتجاج المسلمين، وتصرفت الحكومة تصرفاً أخف وطأة .. لقد قررت شراء التمثال، وعملت على إخفائه .. فالمثال تصرف تصرفاً شخصياً قصد الكسب المادى .. ولكن إصرار المحكمة على بقاء التمثال برغم الاحتجاجات ليس إلا لوناً من التحدى لمشاعر المسلمين فى جميع أنحاء الأرض !!

كدت لا أصدق ما نشرته جريدة الأهرام فى ١٣ / ٩ / ١٩٦٦م تحت عنوان : [شيخ الأزهر يحضر احتفالاً بالعريش] قالت الجريدة :

«أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن الإسلام يدعو إلى الأمن والاستقرار، والحفاظ على الأرواح والممتلكات» وكان فضيلته قد شارك فى احتفالات أشراف العريش بفتح سجل نسبهم لتسجيل أبنائهم، وبخاصة بعد صدور القرار الجمهورى بتعيين السيد أحمد كامل ياسين نقيباً للأشراف !!

ماذا أقول ؟!! أهذه تدخل فى نطاق رسالة الأزهر يا فضيلة الإمام الأكبر ؟!! وما صلة عباراتك التى ذكرتها الأهرام : «**إن الإسلام يدعو إلى الأمن .. إلخ**» ما صلة هذه العبارات بمثل هذا الاحتفال ؟!! وهل استشرت أهل الذكر فى سفرك إلى العريش ؟!!

أى أشراف يا فضيلة الإمام الأكبر وأنت تحفظ عن ظهر قلب قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاس إنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكر وأُنثى وَجَعَلْنَاكُم شُعوبًا وَقَبائِلَ لِتَعَارَفُوا إن أكرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُم ..**﴾ [سورة الحجرات : ١٣] وقوله تعالى : ﴿**فَإذَا نُفِخَ فِي الصُّور فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يومَئذ ولا يتساءلون**﴾ [سورة المؤمنون : ١٠١] .

وما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : « لما نزلت هذه الآية : ﴿ وأنذر عَشِيرتَكَ الأقْرَبين ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً ، فَعَمَّ وخَصَّ قال : « **يا بنى عبد شمس .. يا بنى كعب ابن لؤى .. أنقذوا أنفسكم من النار .. يا بنى عبد مناف .. أنقذوا أنفسكم من النار .. يا بنى هاشم .. أنقذوا أنفسكم من النار .. يا بنى عبد المطلب .. أنقذوا أنفسكم من النار .. يا فاطمة .. أنقذى نفسك من النار .. فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً .. غير أَنَّ لكُمْ رَحِمَاً سأبُلُّها ببَلالها** » أى سأصلها .

* * *



وبعض الهازل
أهون من بعض

وبعض المهازل أهون من بعض

فقد سبق لشيخ أزهر أسبق أن حضر حفل تأبين لشاعر من شعراء العامية .. ولله فى خلقه شئون ..

● كان الأزهر فيما مضى يتابع الأحداث العالمية .. وبخاصة ما يتصل بها من أمور تمس الإسلام والمسلمين ، ولم تكن بياناته قاصرة على ما يطلب منه تصريحاً أو تلميحًا ، أو ما يتطوع به تقرباً إلى الدولة ..

كان الأزهر - فيما مضى - مرتبطاً بالرعية .. وكانت الرعية مرتبطة به .. ولم يكن مرتبطاً بالسلطة بأى حال من الأحوال !!

يحكى لنا الجبرتى المؤرخ المصرى : أن حسن باشا الجزائرلى لما قَدِم مصر من قِبَلِ السلطنة العثمانية وخرج الأمراء المصريون إلى الجهة القبلية واستباح أموالهم ، وقبض على نسائهم وأولادهم ، وأمر بإنزالهم سوق المزاد وبيعهم زاعماً أنهم أرِقَّاء لبيت المال .. لما فعل ذلك اجتمع الأشياخ وذهبوا إليه ، فكان المخاطب له الشيخ محمد أبو الأنوار قائلًا له :

« أنت أتيت إلى هذه البلدة ، وأرسلك السلطان إلى إقامة العدل ، ورفع الظلم - كما تقول - أو لبيع الأحرار وأمهات الأولاد ، وهتك الحريم ؟!! » .

قال : هؤلاء أرقاء لبيت المال !!

فقال الشيخ : هذا لا يجوز ، ولم يقل به أحد !!

فاستشاط الوالى غيظاً شديداً ، وطلب كاتب ديوانه ، وقال له : اكتب أسماء هؤلاء - يعنى الشيوخ - وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره .

فقال له السيد محمود البنوفرى : اكتب ما تريد .. بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا !!

فَأُفْحِمَ الوالى وانكَفَّ عن إتمام قصده .

وتتبع الوالى أموال الأمراء وودائعهم ، وكان إبراهيم بك الكبير قد أودع عند الشيخ أبى الأنوار وديعة ، فأرسل الوالى يطلبها .. فامتنع عن دفعها قائلًا له : إن صاحبها لم يمت ، وقد كتبت على نفسى وثيقة فلا أسلم ذلك ما دام صاحبها على قيد الحياة !!

فاشتد غيظ الباشا منه ، وقصد البطش به .. فحماه الله منه ببركة الانتصار للحق ، فكان الباشا يقول :

« لم أر فى جميع الممالك التى وليتها من اجترأ على مخالفتى مثل هذا الرجل .. فإنه أحرق قلبى » !!

* * *

● وكفى .. ولا داعى للاسترسال فى مواقف علمائنا المجيدة الذين كانت كلمة الحق رائدهم ، وكانت ثقتهم فى الله كبيرة ، وكان الإسلام عندهم ديناً ودنيا ، وكانت رسالتهم لا تفرق بين أمور الدين والدنيا .. لم يقولوا : « **نحن علماء دين ولا شأن لنا بالسياسة** » ، وكان أحدهم يستهدف فقط رضا الله - عز وجل - كانت لهم إرادة حرة ، وكان هواهم تبعًا لا للدولة .. ولكن لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ .

يبدو أن عصر هؤلاء العلماء الرواد قد ولَّى ، وقد أصبحنا فى عصر اختلط فيه الحابل بالنابل ، وأصبحت كلمة الدولة هى العليا !!

وكم كنا - ونحن فى معترك الحياة - والإسلام يُتَحَدَّى من كل صوب وحدب .. الأكثرية المسلمة فى ديارها تعانى من ذل الأنظمة العلمانية ، أو الاستبدادية ما تعانى ، والأقلية المسلمة فى غير ديارها مضطهدة مُعْلَنَةٌ عليها حروب الإبادة ، والأمة المسلمة فى لَهْوٍ عنها .. كم كنا نود أن يكون للأزهر دور فى خضم هذه الأحداث !!

أما وسائل الإعلام [لا أبقى الله لها صوتًا] فهى وسائل إعلام موجهة ومسخرة .. إنها دائماً فى خدمة السلطان تكيل له المديح .. ويقول : هل

من مزيد .. إن حديث الإذاعة والتلفاز .. تبدأ نشرة الأخبار باسمه وتنتهى باسمه .. وفى التلفاز تبدأ النشرة برسمه ، ثم تنتهى أيضاً برسمه .. هكذا الشأن فى سائر دول العالم الثالث !!

ومنذ فترة كتب الصحفى الراحل الأستاذ مصطفى أمين فى « فكرة » يقول :

« **وكنت فى لندن زهاء (ستة أشهر) أيام عهد رئيسة الوزراء [تاتشر] فلم أر صورتها فى التلفاز إلا مرة واحـدة خـلال هذه الفترة .. ففي الدول المتقدمة تقدس الأعمال بينما فى الدول المتخلفة لا يقدس إلا الرجال بلا أعمال !!**

أجل .. كم كنا نود أن يعيش الأزهر المعاصر فى كل أذهان الأمة المسلمة ، وأن يكون له وزنه الثقيل فى مواجهة الأحداث .. لا التى تمس أمور الإسلام والمسلمين وحسب .. بل أى حدث فيه أدنى انتهاك للبشرية وحقوق الإنسان الطبيعية .

منذ فترة وجيزة حدثت مجزرة بمسلمى الصين على أيدى جيشها ، وذلك فى إقليم كسينجيانج ، وذكرت الصحف منذ أيام أن هناك محاولات صينية للتعتيم على إجراءات قمع المسلمين حيث فرضت الصين فى ١٣/٣/١٩٩٧م رقابة مشددة على الصحف ووسائل الإعلام الإلكترونية الأجنبية فى محاولة للتعتيم على المجزرة ، كما تم فرض رقابة مشددة على شبكة الإنترنت !!

أين الأزهر ؟!!

ولا تسل : أين الفاتيكان ؟!!

فى ١٣/١٢/ ١٩٩٦م كتبت صحيفة الأخبار تحت عنوان : « الصين تطالب الفاتيكان بعدم التدخل فى شئونها » قالت :

« الحكومة الصينية رفضت نداء وجهه إليها البابا (يوحنا بولس الثانى) لضمان الحرية الدينية بشكل أوسع ، وطلبت منه الكف عن التدخل فى

شئونها الداخلية .. قال متحدث رسمى بوزارة الخارجية الصينية : يجب على الفاتيكان أن يوقف هذا التدخل ، وخصوصاً عبر استخدام الدين ، وأضاف المتحدث [كذباً بالطبع] أن الحكومة الصينية تحترم حرية المعتقد الدينى للمواطنين ، وتحمى ممارستهم الدينية « النظامية » ؟؟!

وكان بابا الفاتيكان قد طالب الصين بالسماح للكاثوليك بإقامة علاقات رسمية مع الفاتيكان ، وكان النظام الشيوعى فى الصين قد حافظ عى علاقاته مع الفاتيكان حتى عام ١٩٥٧م عندما حرم البابا أسقفين صينيين عينهما الحزب الشيوعى . فرأت الصين إنشاء كنيسة كاثوليكية وطنية مستقلة عن كنيسة روما والفاتيكان » !!

* * *

● ولا داعى لأن نكرر أننا لا نريد للأزهر إلا كل خير ، ولا نريد لشيخه إلا أن يكون على المستوى اللائق بمكانة الأزهر فى قلوب المسلمين ، وبمكانة الشيخ كعالم جليل .. وأذكر أننى كنت على صلة وثيقة متينة بالشيخ شلتوت - رحمه الله - كنت من أشد المعجبين بعلمه وفكره ، وكنت أعتبره امتدادًا لعقلية الإمام محمد عبده ، ومن بعده تلميذه وصديقه الشيخ رشيد رضا ، ثم الشيخ المراغى - رحم الله الجميع - وبعد تعيين الشيخ شلتوت وكيلًا للأزهر دعانى إليه وعتب علىَّ لأنى لم أهنئه بالمنصب .. قلت له : « كنت أتمنى أن يظل الشيخ شلتوت العالم بلا مناصب إدارية » .. قال : ادع الله لى !!

* * *



دفاع عن الإمام الأكبر

« نص الرد »

دفاع عن الإمام الأكبر

بقلم الدكتور رشدى البدراوى

« نص الرد »

نشرت جريدة الجمعة يوم ١٩٩٧/٣/٢٨م مقالًا بعنوان : « عفوًا يا فضيلة الإمام الأكبر » كتبه الأستاذ محمد عبد الله السمان .. منتقدًا رفض فضيلته الذهاب إلى دولة مجاورة ليؤم صلاة الجمعة بالمسجد الرئيسى بالخرطوم ، وأرجو أن يتسع الباب لنشر هذه الكلمة حتى لا يمر المقال دون تعليق فيبدو الأمر وكأن الرأى العام موافق على ما جاء بهذا المقال .

وللإمامة فضل أشارت إليه عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ : « ويؤم القوم أقرؤهم للقرآن ، فإن تساووا فى ذلك فأكبرهم سناً ، وصاحب البيت أولى بالإمامة من الضيف إلا أن يكون الفارق فى العاملين الأولين كبيرًا ، وإمام الجامع المستديم أحق بالإمامة من عابر غير مقيم » .

ولا شك أن بالخرطوم من المشايخ الفضلاء من يحفظون القرآن الكريم والمشهور عن القطر الشقيق أن به معمرين .

فلكل الاعتبارات السابقة لو فرض ووجد فضيلته فى الخرطوم فى المسجد الرئيسى فى يوم جمعة لرأى فضيلته تواضعًا منه أن يصلى خلف الإمام الدائم للجامع .

من هذا نخلص إلى أن دعوتهم هذه للإمام الأكبر شيخ الأزهر لم تكن لحاجة دينية أو لنقص فى الكفايات يتوجب على فضيلته أن يلبيها .. ولا بد أن من وجهوا الدعوة أضمروا استغلال هذه الدعوة – لو قبلت – فى أغراض سياسية .

إن الدعوة التى وجهت لفضيلته لم تكن دعوة خالصة لوجه الله .. بل – كما قال الإمام على كرم الله وجهه – كانت دعوة حق أريد بها باطلًا .

ولو كان مؤتمرًا إسلامياً – أو ندوة دينية على مستوى يليق بمركز فضيلته – لما تأخر عن تلبية الدعوة ، فإذا كان الأزهر ليس لمصر وحدها بل للأمة الإسلامية برمتها كما ذكر صاحب المقال .. فهل نطلب من فضيلة الإمام الأكبر أن يتخلى عن الواجبات الملقاة على عاتقه بحكم هذا المنصب الدينى الكبير ويذهب لا لشىء إلا ليؤم المصلين فى صلاة الجمعة بمسجد الخرطوم ؟

وماذا يكون الحال لو وجهت دعوات مماثلة من مساجد رئيسية فى مدن أخرى من الدولة ذاتها أو من دول إسلامية أخرى ، ولن يتسع وقت فضيلته لقبولها كلها ، ألا يكون قبول دعوة البعض تفضيلًا لهم على من رفضت دعوتهم ؟ وتحيزًا لعمرو ضد زيد !! وزجًا بالأزهر الشريف فى تيارات لا ندرى دوافعها !! أو ندرى دوافعها ولهذا كان رفضها !!

لا يملك المرء إلا أن يقول : شكرًا يا فضيلة الإمام الأكبر .. » انتهى المقال .

تعقيب

● حين كتبت فى الأخبار القاهرية فى ٢٨ مارس مقالًا تحت عنوان : « عفوًا يا فضيلة الإمام الأكبر » اختصر إلى النصف تقريباً .. وكتب الدكتور رشدى البدراوى فى الأسبوع التالى مقالًا تحت عنوان : « بل شكرًا يا فضيلة الإمام الأكبر » يعتبر دفاعًا أكثر منه ردًا على مقالى .

ونحن نقدر للكاتب الدكتور رشدى دفاعه عن رمز نعتز به – نحن المسلمين جميعًا – أضف إلى ذلك أن شخصية الإمام الأكبر الدكتور

محمد سيد طنطاوى شخصية محبوبة خُلُقاً وعلماً وفقهًا .. ولكن هذا الحب لا يحول دون مناقشة آرائه .. فقهية كانت أم غير فقهية .. لا لمجرد الدفاع عن هذه الآراء من منطلق الحب والتقدير لصاحبها .

● لقد برر الكاتب رفض الإمام الأكبر زيارة السودان على أنه يتعلق بمسألة فقهية تتصل بإمامة الصلاة .. وليس فيما أدلى به الإمام الأكبر فى الحوار شيء من ذلك ، ثم إن الإمام الأكبر فى زياراته للهند وباكستان كان يؤم المصلين .. وفى الدولتين كبار العلماء الدينيين ، ورفض الشيخ زيارة السودان كان سمعًا وطاعة واستجابة لدواعٍ أمنية وسياسية .

ورأى الكاتب – مؤكدًا – أن من وجهوا الدعوة أضمروا استغلال هذه الدعوة – لو قبلت – فى أغراض سياسية !!

يا أستاذ .. من أين لك الكشف عن النيات والله تعالى وحده أعلم بها ؟! ثم لماذا لا يقال مثل هذا القول عن زيارة الشيخ للهند المعادية صراحة للإسلام ، وما يفعله الهندوس هناك فى المسلمين ومقدساتهم واضحٌ وضوح الشمس فى رائعة النهار !!

يقول الكاتب : « ولو كان مؤتمرًا إسلاميًا ، أو ندوة دينية على مستوى يليق بمركز فضيلته لما تأخر عن تلبية الدعوة !!

لقد بدا لى أن الكاتب الفاضل قد اكتفى بقراءة مقالى المختصر بالأخبار ولم يقرأ ما جاء على لسان الإمام الأكبر فى الحوار المنشور بمجلة الأزهر .. وشكر الله له .

* * *

وكلمات أخيرة

●● حاولت أن أكتفى بكتابة مقال كرد على الحوار الصحفى مع فضيلة الإمام الأكبر والذى نشرته جريدة الوفد ومجلة الأزهر ، وتوقعت أن الصحف القومية لن ترحب به ، وأنه من باب أولى لن تنشره مجلة الأزهر .. وفعلًا قد اتصلت بالمجلة ورد عليَّ أحد محرريها ، وذكرت له أن البعض فى دهشة من الحوار ، وأنى بصدد كتابة رد ربما فى مقال أو كتاب .. ولكن لم يكن هناك صدى لحديثى !!

ولما قرأت الحوار أكثر من مرة رأيت أن مقالًا واحدًا لا يكفى .. وكان هذا الكتاب الذى لا أقصد به المساس بشخصية الإمام الأكبر ؛ لأن مقامه لدينا مصون .. لا باعتباره شيخًا للأزهر فقط .. ولكن باعتباره عالمًا وفقيهًا .. بالإضافة إلى ما يتمتع به من دماثة الخلق ، ومن سعة الصدر ، وحلو الحديث .

أرجو أن يدرك القارئ أن لا مجال للعواطف ، وأن لا إنسان معصوم من الخطأ فى الرأى ، والعبرة بما صدر من الكلام .. وليس بمصدر هذا الكلام .. وقد قال الإمام مالك : « **لا تسل : من قال .. ولكن سل : ماذا يقول** » ، وكان لسان حال فقهائنا الأوائل يقول : « **كل إنسان يؤخذ من كلامه ويُرَدُّ عليه إلا صاحب هذه الروضة الشريفة** » صلوات الله عليه وسلامه .

وأفتى شيخ الإسلام العز بن عبد السلام بشىء ثم ظهر له أنه أخطأ فنادى فى مصر والقاهرة على نفسه : « من أفتى له ابن عبد السلام بكذا فلا يعمل به .. فإنه خطأ » !!

والإمام الفقيه أبو حنيفة النعمان – مع جلال قدره ، وعلو منزلته قال : أخطأت فى خمسة أبواب من المناسك بمكة فَعَلَّمَنِيها حَجَّام ، وذلك : أردت أن أحلق رأسى فقال لى : أغريب أنت ؟ قلت : نعم .. وكنت قد قلت له : بكم تحلق رأسى ؟ فقال : النسك لا يشارط فيه .. اجلس .. فجلست منحرفًا عن القبلة ، فأومأ إلىَّ باستقبال القبلة ، وأردت أن أَحْلِقُ رأسى من الجانب الأيسر .. فقال : أَدِرْ شِقَّكَ الأيمن من رأسك .. فأدرته ، وجعل يحلق رأسى وأنا ساكت .. فقال لى : كَبِّر .. فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب ، فقال : أين تريد ؟ قلت : رَحِلِى .. فقال : صل ركعتين ثم امض .. فقلت : ما ينبغى أن يكون هذا من مثل هذا الحجام إلا ومعه علم .. فقلت له : من أين لك ما رأيتك أمرتنى به ؟ فقال : رأيت عطاء بن أبى رباح يفعل هذا .

●● قال حماد بن زيد : « إذا خالفنى شعبة تبعته ، لأنه كان لا يرضى أن يسمع الحديث عشرين مرة ، وأنا أرضى أن أسمعه مرة » .

[تذكرة الحفاظ – للذهبى]

يا فضيلة الإمام الأكبر .. لستم فى حاجة إلى من يذكر فضيلتكم بمكانة الأزهر فى قلوب المسلمين جميعاً .. ولقد سمعتم وأنتم فى زيارتكم للباكستان ما قاله السيد [كمال أظفر] محافظ إقليم السند وهو يرحبُ بفضيلتكم :

« ... فما من بلد إسلامى إلا وهو يعرف للأزهر فضله ومجده .. ولهذا فإن واجب المسئولية يتضاعف الآن على أكتاف الأزهر الشريف ليوحِّد صفوف الأمة بعد تفرقها وتشرذمها ، ويجمعها على كلمة سواء مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء : ٩٢] » .

ثم استطرد كمال أظفر يقول :

● « واسمحوا لى يا فضيلة الإمام الأكبر أن أقول : إن أبصار العالم الإسلامى قاطبة تتجه الآن إلى قلعة المعرفة وكعبة العلم والهداية - الأزهر الشريف - ليقوم بدوره فى هذا الصدد خير قيام ، كما يؤدى دوره الريادى فى الهداية الإنسانية » ا هـ .

[رحلة الإمام الأكبر إلى باكستان ص ٩٠ ، ٩١]

وقالت الكاتبة اليابانية التى أسلمت وحَسُنَ إسلامها : [مريم نوس] أو [سولى أورا] سابقاً :

● « وفى تقديرى أن الأزهر الشريف عليه مسئوليات كبرى تجاه الأقليات المسلمة فى العالم .. وهذه المسئولية مسئولية قدرية لا يمكن التخلص منها .. فنحن نتطلع منه إلى المزيد » .

[مجلة الخيرية - الكويت عدد ذى القعدة ١٤١٧ هـ]

* * *

●● يا فضيلة الإمام الأكبر :

إن علماء الدين أكبر من كل ألقاب الدنيا .. فهم ورثة الأنبياء ، وحسبهم هذا !! وبدون ألقاب دنيوية خلدت ذكرى - على مسار مئات السنين لا عشراتها - أمثال أبى حنيفة .. ومالك .. والشافعى .. وابن حنبل .. وغيرهم !!

* * *

● ومرة أخرى : عفوًا يا فضيلة الإمام الأكبر !! والخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية .

* * *

حاشية

قبيل نهاية الحوار الصحفى المنشور بمجلة الأزهر - وموضوع الكتاب - استشهد فضيلة الإمام الأكبر بهذا البيت من الشعر :

لا أذود الطير عن شجر قد بَلَوْتُ المرَّ من ثمره

ونسبه فضيلته إلى أمير الشعراء - يعنى « أحمد شوقى » بالطبع ، ولكن البيت لأبى نواس !!

* * *

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

[صدق الله العظيم]

* * *

أهل العلم

لعلى بن عبد العزيز القاضى

ولم أقضِ حق العِلم إن كان كلما بدا طَمَعٌ صيرّته لِيَ سُلَّماً

وما كان بَرْقٌ لأخ لى يستفزّنى ولا كلُّ من لاقيتُ مغنماً

إذا قيل هذا فهل قلتُ قد أرى ولكنّ نفسَ الحُرِّ تحتمل الظما

أُنَهْنِهُهَا عن بعض ما لا يشينها مخافة أقوال العِدَا فِيمَ أو لِمَا ؟

ولم أبتذلْ فى خدمة العلم مهجتى لأخدمَ من لاقيتُ لكن لأُخْدَما

أأشقى به غرْسَاً وأجنيه ذِلَّة ؟!! إذًا فاتباع الجهل قد كان أحزما

فإن قلت : زند العِلْمِ كابٍ فإنما كَبَا حين لم نحرس حماه وأظلما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظّموه فى النفوس لعُظِّما

ولكن أهانوه فهانَ ودَنَّسوا مُحيّاه بالأطماع حتى تَجهَّمَا

[من كتاب أدب الدنيا والدين]

* * *

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

* * *

قريباً للمؤلف إن شاء الله تعالى

١ – الأمةُ المسلمة .. تحت الصفر

وقريباً جداً إن شاء الله تعالى

٢ – كلمات القرآن العظيم .. زاد المسافر والمقيم .

٣ – أولو العزم من الرسل .. طبعة جديدة مزيدة ومنقحة .

٤ – القوة والعقيدة معاً .. طبعة جديدة مزيدة ومنقحة .

٥ – الإسلام والأمن الدولي .. طبعة جديدة مزيدة ومنقحة .

* * *

رقم الإيداع ١٩٩٧/١٥١٧٨

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ – شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدي – ١١٢٣١

كلمة الناشر

لقد عكفت عدة ليال وأنا أتفحص مادة هذا الكتاب ، وأعيد قراءته أكثر من مرة قبل أن أُعدَّه للنشر ، ثم اقترحت على المؤلف أن ندخل تعديلًا طفيفًا على العنوان فيصبح « الإمام الأكبر والسياسات العليا » بدل أن يكون « عفوًا يا فضيلة الإمام الأكبر .. والخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية » ولكن المؤلف رأى استبقاء العنوان الأصلى حتى يكون موضوعياً لا يستهدف سوى الإصلاح .. فليس من المصلحة الإسلامية أن نسيئ إلى الإمام الأكبر أو أن ننال من شخصه أو مركزه وأعداءُ الإسلام يتربصون به الدوائر .. فضلًا عن أن العنوان البديل سيجرفنا إلى مزالق السياسة وهو ما لا أحبذه الآن فى ظل قوانين الطوارئ المتعاقبة التى تجثم على صدورنا منذ عهد عبد الناصر وحتى كتابة هذه السطور .

فقلت للمؤلف معقبًا : يا سيدى .. إن الإمام الأكبر أبى إلا أن يزج بنفسه فى مخاطر السياسة حين صرح بأنه موظف فى الدولة لا يتحرك إلا وفق سياسات عليا .. أمنية وغير أمنية !! فقال المؤلف :

« إن منهجى فيما كتبت ينطلق من تقديرى للإمام الأكبر .. أما مواجهتى الصريحة له فهى لا تعدو أن تكون عتابًا من مسلم لأخيه المسلم بعيدًا عن المراكز والمناصب وسلطان الكراسى »

فَسَكَتُّ برهة ثم قلت للمؤلف : ونحن كذلك نشاركك تقديرك للإمام إلا قليلًا .. وسوف نقدره كثيرًا حين يجيبنا بصراحة تامة عن هذا السؤال :

عندما عاتبه المخلصون على استقباله وحفاوته بحاخام إسرائيل الأكبر وما زالت دولة العدوان فى ظل السلام تحتل جزءا كبيرًا من الأرض الفلسطينية ولا تتوقف عن بناء المستوطنات ، وتواصل أعمال الحفريات ، وتحتفظ فى سجونها بأكثر من خمسة آلاف فلسطينى برغم أوسلو ومدريد .. حين عاتبك المخلصون قُلْتَ :

إن استقبالك للحاخام فيه مصلحة للإسلام والمسلمين .. تُرى .. ماذا سيكون موقف فضيلتكم لو تَغَيَّر اتجاه الريح وتَصَلَّبَ الموقف المصرى من دولة العدوان أمام التعنت الإسرائيلى .. هل سَتُغَلِّبُ مصلحة الإسلام والمسلمين وتواصل استقبال الحاخامات ولو تَهَدَّد مركز المشيخة واهتز عرش الإمامة ؟!

وعن الإجابة فى كلتا الحالتين سنقول للإمام الأكبر : إن الذى يصبغ عليك شرعية المنصب الكبير ليس هو القرار الجمهورى فقط .. ولكنه قبل ذلك وبعده هو « مجمع البحوث الإسلامية » الذى يضم أكبر علماء العالم الإسلامى وفقهاءه وأصحابَ الحَلِّ والعَقْدِ فيه .. ومصر والعالم الإسلامي والحمد لله أغنياء بهؤلاء جميعاً !

وهذا الكتاب هو صيحة مخلصة من كاتب حر عُرِفَ بجدية الكلمة ، وسلامة القصد .. كاتبٍ حافظ على إسلامه طوال حياته .. لم يبع دينه بدنياه أو بِدُنْيا غيره .. ولم يُضَحِّ بمبادئه على عامًا الماضية برغم المغريات والمرغبات .. عمل فيما عمل بمجلة الأزهر يوم كانت ترفض ا الرسمية ولا تشير إلى أخبار الملوك والرؤساء حين كان كُتَّابها أمثال شلتوت والمدنى وعبد الجا والخطيب والرافعي والعقاد .. وعمل فى مجلة الاعتصام فلم يكن الشيطانَ الأخرسَ الساك منذ كان كُتَّابُها أمثال الغزالى ومجاهد وفايد .. والمشتهرى والمطيعى ومحمد على أحمد .. و خالد ، والبرى وخلمى القاعود ..

وندع القارئ للكتاب الذى يحمل لصاحبه رقم السبعين فى سلسلة كتب المؤلف الذى عشرات الصحف والمجلات فى العالمين : الإسلامى والعربى .

مدير تحرير مجلة الاعتصام